حكايات تولستوي



الجزء الثاني

ترجمة : كاظم سعد الدين

حكايات تولستوي

ترجمة: كاظم سعد الدين

حكايات تولستوي ــ الجزء الثاني

ترجمــة : كاظم سعدالدين

الطبعة العربية الاولى ١٩٩٢

الناشر : وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافــة الاطفــال
العراق ــ بغداد بريد ٨ شباط ص.ب ٨٠٤١

سلسلــة مكتبتنــا
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام : فاروق سلوم
سكرتير التحرير : فاروق يوسف

حكايات
تولستوي

هذا هو الجزء الثاني من كتاب (حكايات تولستوي) ، هذه الحكايات التي كتبها الكاتب الروسي الشهير ليو تولستوي . هذا الجزء يضم (١٤) حكاية . وقد كان الجزء الاول قد ضم (٤) حكايات .

ويسرنا ان نعلن للقراء ان هذه الحكايات لم تسبق ترجمتها للغة العربية من قبل .

٧٣ و ٨٩١

ت ٩٨٥ تولستوي ، ليو (١٨٢٨ ـ ١٩١٠ م)

حكايات تولستوي / تولستوي ليو ، ترجمة كاظم سعد الدين

. ـ بغداد : دار ثقافة الاطفال ، ١٩٩٢ .

ح (ص) ، ٢٤سم . ـ (سلسلة مكتبتنا)

١ ـ القصص الروسية ٢ ـ قصص الاطفال

أ ـ كاظم سعد الدين (مترجم) ب ـ العنوان ج ـ السلسلة .

م.ر

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

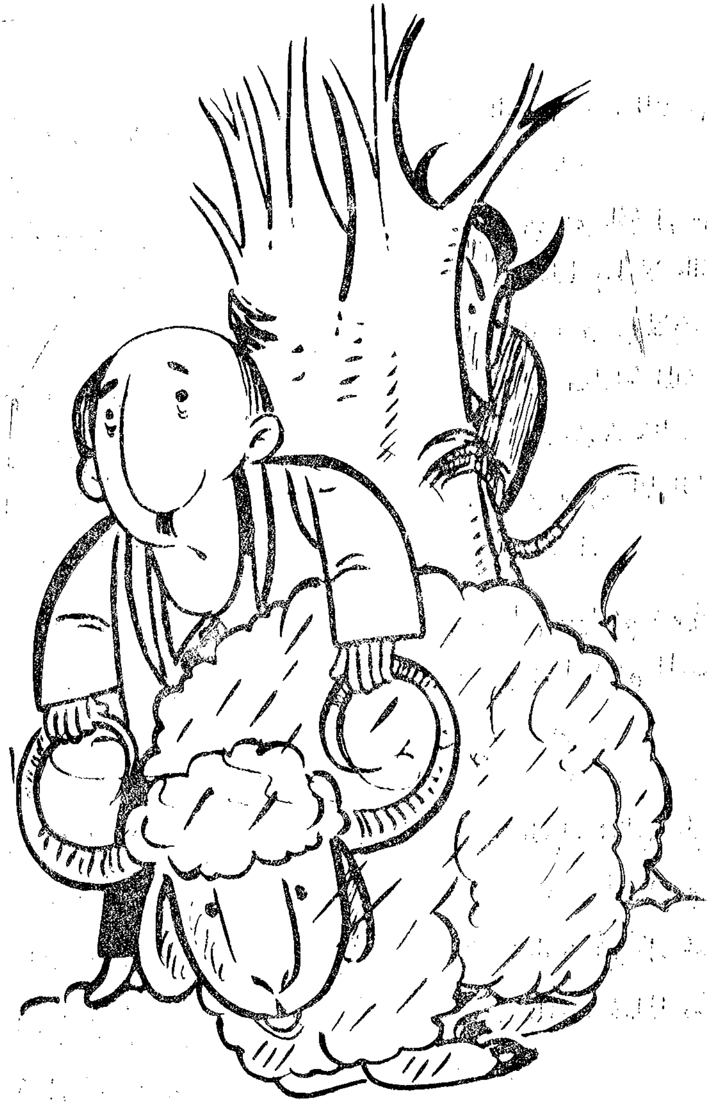
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق

ببغداد ٥٦٨ لسنة ١٩٩٢

دار الحريـة للطباعـة ـ بغـداد

١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢ م

الشر يزول والخير يدوم



عاش في غابر الازمان رجل فاضل رحب الصدر ، يملك من متاع الدنيا شيئا وفيرا من الخدم عددا كبيرا في خدمته ، وهم يفخرون بسيدهم قائلين : ليس في الدنيا كلها من هو افضل من سيدنا ، فهو يطعمنا ويكسونا برفاهية ، ولا يحملنا بما لا طاقة لنا به ، ولا يحمل ضغنية ولا يخشن القول لاحد ، وهو لايشبه السادة الاخرين الذين يعاملون خدمهم أسوأ من معاملة الماشية ويسومونهم سوء العذاب سواء اكانوا يستحقون ذلك أم لايستحقون ، ولا يوجهون كلمة ود اليهم ، وهو يرجو لنا الخير ويفعله ويقول قولا كريما ، ونحن لانرجو حياة افضل .

اغتاظ الشيطان وهو يسمع العبيد يثنون على سيدهم ويراهم يعيشون عيشة محبة وانسجام مع سيدهم ، وجعل احدهم المسمى (اوليب) تحت نفوذه وامره ان يغري اصحابه الاخرين ويؤلبهم ، ففي ذات يوم كانوا مجتمعين يرتاحون ويتحدثون عن طبيعة سيدهم فرفع (اوليب) صوته وقال : انه لمن الغباء تعظيم طبيعة سيدنا ، فأن الشيطان نفسه يمكن ان يكون رحيما بكم اذا ما عملتم مايريد ، نحن نحسن خدمة سيدنا ونداريه في كل شيء، فما ان يفكر في شيء حتى نفعله متوقعين كل رغباته ، فماذا يمكن ان يفعل غير ان يكون لطيفا بنا ؟ فكروا فقط .

كيف سيؤول الامر لو اننا اذيناه قليلا بدلاً من مداراته • انه سوف يتصرف مثل غيره • وسوف يجزي الشر بالشر كما يفعل اسوأ السادة •

واخذ الخدم الاخرون ينكرون على اوليب قوله • وتراهنوا اخر الامر معه • فتعهد اوليب ان يغضب سيدهم • واذا فشل في ذلك فانه يخسر ثوب العيد ، ولكن اذا نجح في مسعاه فعليهم ان يعطوه ثيابهم • ووعدوا ، فضلا عن ذلك ، ان يحموه من سيدهم ويطلقوا سراحه اذا ماكبل بالاغلال او القي في السجن • وبعد ان اتفقوا على ذلك الرهان وافق اوليب على ان يثير غضب سيده في صباح اليوم التالي •

كان (اوليب) راعيا في عهدته عدد من الاغنام الاصيلة الثمينة الاثيرة لدى سيده • وفي صباح اليوم التالي ، جلب سيدهم بعض الضيوف الى الحظيرة ليريهم اغنامه النفيسة ، فغمز (اوليب) الى اصحابه كأن يقول : انظروا الان كيف اثير غضبه !

اجتمع الخدم الاخرون ينظرون من خلل الابواب او من فوق السياج • وتسلق الشيطان شجرة قريبة ليرى كيف يؤدي خادمه عمله • تجول السيد في الحظيرة وهو يعرض النعاج والكباش على ضيوفه ، وأراد ان يريهم اجمل كباشه •

فقال : كل الكباش ثمينة ولكن واحدا منها ملفوف القرنين لا يثمن • اقدره بانسان عيني •

جفلت الغنم من الغرباء فتفرقت راكضة في ارجاء الحظيرة فلم

يستطيع الضيوف القاء نظرة جيدة على الكبش . وما ان وقف حتى اجفل (اوليب) الغنم وكأنه فعل ذلك مصادفة فاختلطت كلها مرة اخرى . ولم يستطع الضيوف تمييز الكبش الثمين . وتعب السيد اخيرا من الكبش .

وقال : اوليب ، ياصديقي العزيز ، ارجو ان تمسك لي بافضل كبش عندنا ، الكبش الملفوف القرنين . امسكه بعناية واجعله هادئا لحظة واحدة .

ما كاد السيد يقول ذلك حتى اندفع اوليب بين الغنم كالاسد وأمسك بالكبش الذي لايقدر بثمن . قبض عليه من الصوف قبضا محكما وامسك برجله الخلفية اليسرى بيد وهزها بقوة شديدة فانقصفت مثل غصن يابس . كسر ساق الكبش فسقط يثغو على ركبتيه . ثم امسك اوليب بالساق الخلفية اليمنى ، في الوقت الذي التوت الساق اليسرى وتدلت ، وصرخ الضيوف والخدم في فزع شديد ، فرح الشيطان في مجلسه على الشجرة ان يؤدي اوليب مهمته بذكاء . وبدا السيد مكفهرا كالسحاب الاسود المنذر بالرعد ، وعبس ، واحنى رأسه ولم ينبس بكلمة . وخيم الصمت على الضيوف والخدم ايضا منتظرين ماذا سيحدث . وبعد ان ظلوا صامتين برهة ، انتفض السيد كمن يلقي عن كاهله حملا ، ثم رفع رأسه ، وتوجه بعينيه الى السماء ، وظل كذلك مدة قصيرة حتى زالت الغضون عن وجهه ، ثم نظر الى اوليب مبتسما وقال :

« اوليب ، يا اوليب ! امرك سيدك ان تثير غضبي ، ولكن

سيدي اقوى من سيدك . وانا لست غاضبا عليك ولكني سأثير غضب سيدك . وانت تخشى ان اعاقبك وقد كنت ترغب في حريتك. فاعلم يا (اوليب) انني لن اعاقبك ، وبما انك ترغب في حريتك ، فها نذا أعشك امام ضيوفي . اذهب حيثما شئت وخذ ثوب العبد معك !

وعاد السيد الرؤوف بضيوفه الى البيت ، غير ان الشيطـــان سقط وهو يصر بأسنانه من الشجرة وغار في الارض .

سنة (١٨٨٥) م

بنات صغيرات أعقل من الكبار



جاء عيد الفصح وكان التزلج قد انتهى توا ، ومازال الثلج في الباحات والماء يجري في جداول في شارع القرية .

وصادف ان التقت طفلتان صغيرتان من بيتين مختلفين في زقاق بين منزلين حيث تكون غدير واسع بعد ان جرى الماء الوسخ بين باحات المنازل . كانت احدى البنتين صغيرة والاخرى اكبر منهـا قليلا . وقد البستهما اماهما ثوبين جديدين . كانت الصغرى تلبس ثوبا ازرق والثانية اصفر مورقا ، وتلف كل منهما رأسها بمنديل احمر . وشرعت كل واحدة منهما تري صاحبتها ثيابها الجديدة حال لقائهما ، ثم اخذتا تلعبان . وسرعان ما مالت بهما الرغبة الى رش الماء وأرادت الصغرى ان تخوض في البركة بحذائهـا وكل شيء ولكن الكبرى كبحتها .

وقالت : لا تدخلي البركة هكذا يا (مالاشا) فـان امـك ستوبخك ، سأخلع حذائي وجواربي واخلعي انت ايضا .

وفعلت الاثنتان ذلك ، ثم رفعت كل منهما تنورتهـا وبدأت تمشي نحو الاخرى في الغدير ووصل الماء الى كاحلي (مالاشا) وقالت :

— انه عميق يا اكوليا ، انا خائفة !

فاجابت الاخرى ! هيا تقدمي ! لا تخافي . لن يكون اعمق من هـــذا .

ولما اقتربت احداهما من الاخرى قالت اكوليا :

ـــ انتبهي ، مالاشا ، لاترشي الماء . امشي بانتباه .

ولم تكد تقول ذلك حتى هوت (مالاشا) بقدمها بقوة فتناثر الماء على ثوب (اكوليا) ، وتوسخ وصار الماء على عينيها وأنفها . ولما رأت بقع الاوساخ على ثوبها ، غضبت وركضت وراء مالاشا لتضربها . خافت (مالاشا) ولما رأت نفسها في مأزق خرجت ببطء من البركة وتاهبت للهرب الى البيت . واتفق ان كانت ام (اكوليا) مارة بذلك المكان فرأت ان تنورة ابنتها قد رشت بالماء واتسخت واتسخ كماها وقالت :

ـــ أيتها الوقحة القذرة ، ماذا كنت تفعلين ؟

فأجابت البنت امها ! مالاشا فعلت ذلك عمدا .

فأمسكت ام اكوليا بمالاشا وصفعتها على قفا رقبتها .

واخذت مالاشا تزعق وتعول حتى سمعها الشـــارع كلــه . وخرجت امها .

وقالت : لمـــاذا تضربين ابنتي ؟

وصارت توبخ جارتها . وكلمة تجر كلمة حتى احتدم شجار غاضب بينهما . وخرج الرجال وتجمع حشد في الشارع ، كل واحد يصيح ولا يستمع احد واستمر الجميع في الخصام حتى صاروا يتدافعون وكاد الامر يصل الى الضرب عندما جاءت جدة اكوليا تخطو بينهم وتحاول اصلاح ذات البين .

وقالت : بماذا تفكرون ايها الاصدقاء ؟ هل هـذا تصرف صحيح ؟ وفي مثل هذا اليوم ؟ انه يوم عيد وبهجة وليس يوم حماقة كما تفعلـون •

ولم يستمعوا الى العجوز وكادوا يطأون قدميها ولـم تكن قادرة على تهدئة الحشد لولا الصغيرتين مالاشا واكوليا نفسيها • فعندما كانت النساء تتشاتم ، مسحت (اكوليا) الوحل من ثوبها وعادت الى البركة واخذت حجرا وبدأت تكف الطين الذي امام البركة لتفتح مجرى للماء لكي يسير في الشارع • والتحقت بهـا (مالاشا) من فورها وساعدتها في حفر المجرى بقطعة من الخشب • وعندما اوشك الرجال ان يتخصاموا تدفق الماء في جدول البنت الصغيرة الى الشارع نحو المكان الذي تقف فيه العجوز لتهدئـة الرجال • وتبعت الصغيرتان الجدول وهما تركضان ، كل واحـدة على جانب منه •

وصاحت اكوليا : الحقيها مالاشا ! الحقيها !

ولكن مالاشا لم تستطع الكلام لانها كانت تضحك • وقـد غمرت الفرحة الطفلتين الصغيرتين وهما تراقبان قطعة الخشب تطفو في المجرى وركضتا مخترقتين حشد الناس ولما رأتهما العجوز قالت للرجال :

— الا تخجلون من انفسكم ؟ تتقاتلون بسبب هاتين الطفلتين اللتين نسيتـا كـل شيء وراحتـا تلعبـان سعيدتـين معـا • يالنفوس الصغيرة الطاهرة ! انهما اعقل منكم !

نظر الرجال الى الصغيرتين وخجلوا ثم ضحكوا من انفسهم ، وعاد كل واحد منهم الى بيته .

فما لم تتبدلوا وتصحوا كالاطفال الصغار فلن تدخلوا الجنة ابدا .

سنة (١٨٨٥)م

اليـاس



عاش في قديم الزمان في بلاد (اوفا) رجل بشكيري اسمه (الياس) توفي والد الياس بعد مضي سنة على زواج ابنه ولم يترك ثروة طائلة له • لم يكن الياس يملك آنذاك الا سبع افراس وبقرتين ونحو عشرين خروفا ، على انه كان مدبرا ممتازا وسرعان ما صار يكتسب المزيد • وكان وزوجته يشتغلان من الصباح حتى المساء وينهضان مبكرين قبل الاخرين ويأويان الى السرير بعدهم • فزادت املاكه سنة بعد سنة • عاش الياس على هذا النحو واكتسب ثروة طائلة بالتدريج • وصار لديه بعد خمس وثلاثين سنة مئتان من الخيل ومئة وخمسون رأسا من الماشية والف ومئتان من الغنم • وصار يستأجر رجالا لرعي قطعان ماشيته واغنامه وخيوله ، ونساء لحلب الافراس والابقار وصناعة اللبن والزبد والجبن • كان لديه فيض من كل شيء • وحسده كل ابناء المنطقة • وقالوا عنه :

— الياس رجل موفور الحظ : لديه كثير من كل شيء • ولا ريب ان هذه الدنيا مقام مسرة وبهجة له •

وتناهى الى سمع ذوي المكانة الاجتماعية الرفيعة سمعة الياس وسعوا الى نيل الحظوة لديه والتعرف عليه ، فقصده الضيوف من أرجاء بعيدة واكرم كل قاصديه • فكان يقدم لكل طارق اللبن والشاي والشربت ولحم الضأن • يذبح خروفا لدى قدوم الضيوف،

او يذبح احيانا خروفين • واذا كان الضيوف كثيرين فانه يذبح لهم فرسا •

كان لالياس ثلاثة اطفال : ولدان وبنت • زوجهم جميعا • وقد اشتغل ولداه معه ورعيا الاغنام والماشية عندما كان فقيرا • ولكنهما فسدا عندما صار ثريا ، فادمن احدهما شرب الخمرة • وقتل الاكبر في شجار • وصار الاصغر الذي تزوج امرأة عنيدة لا يطيع والده • فلم يكن بوسعهما العيش معا •

وهكذا افترق الاثنان ولكن الياس اعطى ولده بيتا وقليلا من الماشية مما ادى الى اضعاف ثروته • وانتشر بعد ذلك مباشرة وباء بين اغنام (الياس) فمات كثير منها • وكان موسم الحصاد سيئا والحاصل نزرا ونفق كثير من الماشية في ذلك الشتاء •

وسرق القرغيز خير قطعان خيله • وتبددت ثروة الياس • ولم يبق منها الا القليل وتضاءلت قوته في الوقت نفسه حتى انه عندما بلغ السبعين من العمر بدأ يبيع ما لديه من فراء وبسط واسرجة وخيام • واضطر اخيرا الى التخلص مما بقي لديه من ماشية ووجد نفسه وجها لوجه امام العوز • وقبل ان يعرف كيف حدث ذلك ، كان قد خسر كل شيء • واضطر الزوج والزوجة الى الخدمة • ولم يبق لدى الياس شيء ما عدا الملابس التي يرتديها ومعطفا من الفراء وقبعة وحذاء وقد بلغت زوجته شام شياكي ايضا من الكبر عتيا ورحل ابنه الذي فارقه الى بلد بعيد • وماتت ابنته فلم يبق احد يعين الزوجين العجوزين •

واشفق عليهما جارهما (محمد) الذي لم يكن غنيا ولا فقيرا • ولكنه كان يعيش في راحة وكان رجلا طيبا • وتذكر كرم الياس فاشفق قلبه وقال :

ــ تعال وعش معي يا الياس انت وزوجك • في الصيف تستطيع ان تشتغل في حقل البطيخ بقدر ما تسمح لك قوتك ، وفي الشتاء تطعم الماشية ، وتحلب زوجك (شام شياكي) الافراس وتصنع شراب الكوميس من حليبها وسوف اقدم لكما الطعام والملبس• واخبرني اذا احتجت شيئا ، ستحصل عليه في الحال •

شكر (الياس) صديقه محمد واشتغلا هو وزوجته لديه • بدأ العمل اول الامر عسيرا عليهما ولكنهما اعتادا عليه وعاشا يعملان بقدر ما تسمح لهما قوتهما •

ووجد (محمد) ان من مصلحته الاحتفاظ بمثل هؤلاء الناس لانهما كانا صاحبي املاك ويعرفان تدبير الامور وادارتها ولم يكونا متكاسلين بل يعملان كل مابوسعهما عمله • ولكن على الرغم من ذلك فان محمدا أحزنه ان يرى عزيزي قوم ذلا •

واتفق ذات مرة ان جاء أقرباء محمد م نمكان بعيد لزيارته وجاء معهم الملا ايضا • واخبر محمد الياس ان يمسك بخروف ويذبحه • سلخ الياس الخروف وطبخه وقدمه للضيوف • أكل الضيوف اللحم وشربوا الشاي وبدأوا يرتشفون الكوميس (لبن الخيل) • وبينما كانوا جالسين مع مضيفهم على وسائد فوق بساط يتحدثون ويرتشفون اللبن من الاقداح ، انهى (الياس) عمله ومر امام الباب المفتوح • ولما رآه محمد يمر قال لاحد ضيوفه :

ــ أرأيت الرجل الذي مر الان ؟

فقال الضيف : نعم ، وما الغريب في أمره ؟

ــ هذا فقط ــ انه كان أغنى رجل بيننا . اسمه الياس لعلك سمعت عنه .

فاجاب الضيف : طبعا ، سمعت عنه ولكنني لم أره قبلا ، بيد ان سمعته انتشرت في جميع الارجاء .

ــ وقال محمد : نعم ، ولم يبق لديه الان شيء . وهو يعيش عندي شغيلا مع زوجته العجوز ايضا ــ وهي تحلب الافراس .

دهش الضيف وطقطق بلسانه وهز رأسه وقال :

ــ الحظ يدور كالدولاب ، يرفع انسانا ويخفض انسانا ! أليس الشيخ حزينا على كل ما فقد ؟

ــ من يدري ؟ انه يعيش بهدوء وسلام ويقوم بعمله خير قيام . فسأل الضيف : ايمكن ان احدثه ؟ ان اسأله عن حياته .

أجاب السيد : ولم لا ؟

ونادى من الكبيتكا (وهي خيمة مدورة من الالواح المغطاة باللباد) حيث كانوا جالسين .

ــ باباي (وتعني باللغة البشكيرية « الجد ») تعال واشرب معنا قدحا من الكوميس وادع زوجتك أيضا .

ودخل الياس وزوجته . وبعد ان تبادل التحية مع سيده وضيوفه ، حمد الله واثنى عليه وجلس لدى الباب . وجلست زوجته وراء الستارة مع سيدتها .

وقدمت قدحا من الكوميس الى الياس • وتمنى للضيوف ولسيده الصحة والعافية وانحنى وشرب قليلا ثم وضع القدح •

وقال الضيف الذي أراد ان يكلمه : حسنا يا ابت ، اظن انك تشعر بالحزن عند رؤيتنا التي لابد انها تذكرك بحياتك المرفهة سابقا واحزانك الان •

فابتسم الياس وقال :

ـ اذا وجب علي ان اخبركم ما السعادة وما التعاسة ، فانكم لن تصدقوني • ولكن الأفضل ان تسألوا زوجي ، فهي امرأة ومافي قلبها على لسانها وسوف تسرد لكم الحقيقة كلها •

والتفت الضيف الى الستارة •

وصاح : ايتها الجدة ، خبريني كيف كانت سعادتك السابقة قياسا الى تعاستك الراهنة ؟

فاجابت (شام شياكي) من وراء الستار وقالت :

ـ هذا هو رأيي بذلك • عشنا انا وزوجي الشيخ خمسين سنة نبحث عن السعادة ولم نجدها الا في السنتين الاخيرتين بعد أن فقدنا كل شيء وعشنا شغيلين ولا نبغي شيئا أفضل من وضعنا الراهن •

دهش الضيوف ودهش السيد ايضا حتى انه نهض وسحب الستارة لكي يرى وجه العجوز • كانت واقفة مثنية الذراعين تنظر الى زوجها العجوز وتبتسم وهو يبتسم لها •

وواصلت العجوز قولها : اني اقول الحقيقة ولا امزح • ظللنا نبحث عن السعادة نصف قرن ولم نجدها مادمنا اغنياء • اما الان

ونحن لانملك شيئا وصرنا شغيلين ، وجدنا السعادة التي لانبغي افضل منها .

فسألها الضيف : ولكن اين تكمن سعادتكما ؟

أجابت : في مايأتي : عندما كنا اغنياء كانت اهتماماتنا كثيرة جدا بحيث لم يكن لدينا وقت يتحدث فيه احدنا الى الاخر او نفكر في انفسنا او نصلي الى الله . نستقبل ضيوفنا ونفكر في الطعام الذي نقدمه لهم والهدايا التي نهبها اليهم لئلا يسيئوا القول فينا . واذا ما غادروا فاننا نهتم بعمالنا الذين يحاولون التهرب دائما من العمل ويحصلون على افضل الطعام ، في الوقت الذي نريد ان نحصل منهم على كل مانستطيع . وبهذا كنا آثمين . وكنا نخشى الذئاب ان تقتل مهرا او عجلا ، او اللصوص ان يسرقوا خيولنا . كنا نسهر الليل قلقين ان تنام النعاج على حملانها وتخنقها . وننهض مرارا وتكرارا لكي نتأكد ان الامور على مايرام . نهتم بشيء ، فيبرزهم جديد ، كيف نحصل على علف كاف للشتاء مثلا . وكنا انا وزوجي ، فضلا عما ذكر ، كثيرا ما لا نتفق في الرأي . فهو يقول يجب ان نفعل كذا وكذا فاختلف معه ، ثم نتجادل ونقع في اثم جديد . وهكذا ننتقل من مشكلة الى مشكلة ومن أثم الى اثم، ولم نجد السعادة .

— حسنا ، والان ؟

— والان ، عندما نستيقظ صباحا انا وزوجي يستقبل احدنا صاحبه بكلمة حب ، واننا نعيش باطمئنان لاننا لا نملك شيئا نتخاصم من اجله . لا هم لنا سوى كيفية خدمة سيدنا . ونعمل قدر ماتسمح

به طاقتنا ، وتؤدي العمل راغبين فيه متمنين الا يخسر سيدنا بل ينتفع بنا . وعندما نأتي الى البيت نجد الغداء او العشاء حاضرا والكوميس معدا للشرب . لدينا وقود نشعله عند البرد ، ولدينا معاطف فراء ، ومتسع من الوقت لتبادل الحديث ، ووقت اخر للتفكير بانفسنا ووقت للصلاة . ظللنا خمسين سنة نبحث عن السعادة ولم نجدها الا الان .

ولكن الياس قال :

ــ لا تضحكوا يا أصدقائي . ليس في الامر مزاح بل هي حقيقة الحياة كنا حمقى باديء ذي بدء وبكينا عندما فقدنا ثروتنا ، ولكن الله بين لنا الحقيقة وها نحن نقولها ، ليس لمواساة انفسنا ، بل لصالحكم انتم .

وقال الملا : هذه حكمة بالغة . لقد تحدث الياس عن الحقيقة الصادقة . وهذا ما مذكور في الكتاب العزيز .

وكف الضيوف عن الضحك وراحوا يفكرون .

سنة (١٨٨٥) م

النساك الثلاثة



كان أحد الاتقياء العارفين بامور الدنيا والاخرة مسافرا من منطقة الى منطقة اخرى . وكان على السفينة نفسها عدد من الحجاج في طريقهم الى زيارة المراقد في ذلك المكان . كانت الرحلة سلسة والريح مواتية والجو لطيفا : استلقى الحجاج على ظهر السفينة . يأكلون أو جلسوا في مجموعات يتحادثون . صعد الرجل التقي أيضا الى ظهر السفينة . ولاحظ وهو يروح ويجيء ، مجموعة من الرجال واقفين قرب القيدوم (أي مقدم السفينة) يستمعون الى صياد سمك يشير الى البحر ويحدثهم عن شيء من الاشياء . توقف الرجل التقي ونظر نحو الجهة التي كان يشير اليها . ولم يستطع أن يرى شيئاً عند تلألؤ البحر في أشعة الشمس . اقترب ليستمع ولكن الرجل رفع قبعته وسكت لما رأى التقي يقترب . ورفع الاخرون قبعاتهم وانحنوا .

فقال التقي : لا تدعوا وجودي يقاطعكم ايها الاصدقاء . جئت لاسمع مايقول هذا الرجل الطيب .

رد عليه احدهم وهو تاجر أجرأ منهم وقال : كان السماك يخبرنا عن النساك الثلاثة .

فسأله التقي : وأي نساك ؟

ثم توجه الى جانب السفينة وجلس على صندوق واردف قائلا :

- حدثني عنهم فاني اود سماع ذلك . الى أي شيء كنت تشير ؟

أجاب الرجل وهو يشير الى بقعة بعيدة الى اليمين قليلا : الى تلك الجزيرة التي يمكن ان تراها هناك . تلك هي الجزيرة التي يسكنها النساك الثلاثة لخلاص أرواحهم .

فسأل التقي : أين الجزيرة ؟ اني لا ارى شيئا .

اجاب الصياد : هناك على بعد ، اذا تفضلت ان تنظر مع اشارة يدي . أترى تلك الغمامة الصغيرة ؟ تحتها ، والى اليسار قليلا ، شريط باهت . تلك هي الجزيرة .

نظر الرجل التقي بامعان ولكن عينيه غير معتادتين فلم يستطع ان يميز شيئا غير الماء المتلألىء في الشمس .

وقال ! لا استطيع ان اراها . ولكن من هم النساك الذي يعيشون هناك ؟

اجاب الصياد : انهم رجال اتقياء . سمعت حكايتهم منذ زمن طويل ولكن لم تتح لي الفرصة ان أراهم الا قبل سنتين .

وسرد الصياد كيف جنح زورقه ذات مرة ليلا الى الجزيرة ، عندما كان خارجا للصيد ، ولم يدر أين كان . وفي الصباح راح يتجول في الجزيرة شاهد مصادفة كوخا من الطين ورأى شيخا واقفا قربه . وخرج حينها شيخان اخران . وقدما له الطعام وجففا اشياءه ثم ساعداه في تصليح زورقه . وسأله الرجل التقي : وما هي أشكالهم ؟

اجابه : احدهم صغير الجسم محني الظهر ويلبس رداء رجل دين وهو طاعن في السن . ويمكن ان اقول ان عمره يتجاوز المئة .

وبلغ من شدة كبره ان مال بياض لحيته الى الخضار ، غير انه دائم الابتسام ، ووجه مشرق كوجه ملاك من ملائكة الجنة . أما الثاني فانه اطول ولكنه طاعن في السن أيضا ، ويلبس معطفا فلاحيا بالياء ولحيته عريضة ذات لون رمادي مصغر . وهو قوي البنية . وقبل أن أتقدم لمساعدته قلب زورقي كأنه دلـــو . كان الرجـــل ودودا بشوشا . والثالث طويل القامة ، له لحية بيضاء كالثلـــج تصـــل ركبتيه ، وهو متجهم ، كث الحاجبين ، لا يلبس شيئا سوى قطعة من حصير شدها حول خصره .

فسأله التقي : وهل تكلموا اليك ؟

اجابه الصياد : كانوا في الغالب يـؤدون أعمالهـــم صـــامتين ولا يتكلمون الا قليلا حتى بينهم . ويلقي احدهم نظـــرة عجلى فيفهم الاخران . سألت اطولهم هـــل عاشـــوا هنـــالك طويـــلا ، فعبس ودمدم كالغاضب ولكن اكبرهم عمرا اخذ يـــده وابتســـم فهدأ الرجل الطويل . ولم يقل اكبرهم سوى «ارحمنا» وابتسم .

واقتربت السفينة من الجزيرة والصياد يتكلم .

وقال التاجر مشيرا بيده : يمكنك ان تراها الان بوضوح اذا شاء حضرتكم ان ينظر .

نظر الرجل التقي ورأى هذه المرة شريطا غامقا ــ هو الجزيرة . وبعد أن نظر اليها برهة ، ترك قيدوم السفينة وتوجه الى مؤخرها وسأل مدير الدفة :

ــ أية جزيرة تلك ؟

اجاب الرجل : تلك الجزيرة لا اسم لها • ثمة كثير مثلها في هذا البحـــر •

— أصحيح ان فيها نساكا يعيشون من أجل خلاص أرواحهم ؟

— هذا ما يقال يا صاحب السيادة ولكني لا أعلم اذا كـــان الأمر صحيحا • يقول الصيادون انهم رأوهم ولكن لعلهم ، بطبيعة الحال ، يلفقون القصص •

فقال الرجل التقي : اود الذهاب الى الجزيرة ورؤية اولئـــك الرجال • فكيف استطيع أن أفعل ذلك ؟

اجابه مدير الدفة : لا يمكن للسفينة ان تقترب من الجزيـــرة ولكن يمكنك الذهاب اليها بزورق تجذيف • والأفضل ان نكلم الربان في ذلك • وارسل في طلب الربان وجاء •

فقال الرجل التقي : اود ان ارى اولئك النساك • الا يمكن أخذي بزورق تجذيف اليهم ؟

وحاول الربان أن يثنيه •

وقال : يمكن ذلك بطبيعة الحال ولكننا سنضيع وقتا طويلا ، ويمكن ان أجرؤ بالقول لسيادتك ان اولئك الشيوخ لا يستحقون منك هذه المشقة • سمعت انهم شيوخ حمقى لا يفهمـــون شـــيئا ولا ينطقون حرفا ولا يختلفون عن أسماك البحر •

فقال التقي : ارغب في رؤيتهم وسوف ادفع لك عن اتعابـــك وضياع الوقت • فارجوك ، جهز لي زورقا •

لم يكن مفر من ذلك : فاصدر الربان أمرا ورفعت الاشرعـــة وهيئت الدفة واتخذت السفينة مجراها نحو الجزيرة • ووضـــع

كرسي عند القيدوم للرجل التقي حيث جلس وصار ينظر الى الامام.
وتجمع الركاب . جميعا في القيدوم وراحوا يحدقون باتجاه الجزيرة . واستطاع ذوو البصر الحديد ان يميزوا الصخور عليها ثم رأوا كوخا من الطين . وشاهد احدهم النساك أنفسهم . وجلب الربان ناظورا نظر فيه ثم قدمه للرجل التقي قائلا :

— انه حق . وهناك ثلاثة نساك واقفون على الساحل ، هناك الى يمين تلك الصخرة الكبيرة قليلا .

تناول الرجل التقي الناظور وجعله في الموضع الصحيح ورأى الرجال الثلاثة : رجل طويل واخر أقصر منه وثالث صغير محني الظهر واقفين على الشاطيء ويمسك كل واحد منهم بيد صاحبه .
التفت الربان الى الرجل التقي وقال :

— لا يمكن للسفينة ياصاحب السيادة أن تقترب اكثر من هذا . واذا رغبت ان تذهب الى الشاطيء فيجب ان نطلب اليك الذهاب في الزورق ، في الوقت الذي نلقي المرساة ههنا .

ادلي الحبل بسرعة والقيت المرساة وطويت القلوع . وحدثت هزة وارتجت السفينة ، وانزل الزورق فوثب المجذفون فيه ونزل الرجل التقي السلم واتخذ مقعده . وحرك الرجال مجاذيفهم فانطلق الزورق مسرعا نحو الجزيرة . ولما وصلوا الى مرمى حجر منها ، رأوا ثلاثة شيوخ : طويل ليس حول خصره سوى قطعة ، وقصير في معطف فلاح بالٍ ، وشيخ طاعن أحنت السنين ظهره ، يلبس رداء عتيقا . وكان الثلاثة واقفين يداً بيد .

وتوقف المجذفون لدى الشاطيء والقوا الخطاف ونزل الرجل التقي • وانحنى الشيوخ له ، وبارك لهم فانحنوا مرة اخرى • ثم راح التقي يكلمهم :

ـ سمعت انكم ، ايها الورعون ، تعيشون هنا من أجل خلاص أرواحكم والصلاة لله من اجل اخوانكم بني البشر • فانا عبد من عبيد الله دعيت برحمة منه ان اعلم عباده • ورغبت في رؤيتكم ، ياعباد الله ، وان ابذل ما استطيع من جهد لتعليمكم ايضا •

نظر الشيوخ ، بعضهم الى بعض ، وهم يبتسمون ولكنهم التزموا الصمت • فقال التقي : خبروني ، ماذا انتم فاعلون لتنقذوا ارواحكم وكيف تعبدون الله في هذه الجزيرة •

تنهد الناسك الثاني ونظرا الى كبيرهم الطاعن في السن الذي ابتسم وقال :

ـ لا نعرف كيف نعبد الله • فنحن عبيد الله لا نعمل شيئا سوى خدمة انفسنا واعالتها •

فسألهم التقي : وكيف تصلون لله ؟

فقال كبيرهم : نقول : الحمد للهرب العالمين
اعطنا رحمة من لدنك
يا ارحم الراحمين

فابتسم الرجل التقي وقال : من الواضح انكم سمعتم شيئا عن الصلاة ولكنكم لا تعرفون كيف تصلون •

وبدأ يعلمهم الصلاة ويطلب اليهم تكرار مايعمل وما يقول بعده ولم يتركهم حتى رأى انهم يجيدون اداءها •

وسجى الليل وطلع القمر فوق الماء قبل ان ينهض الرجل التقي للعودة الى السفينة مستأذنا الشيوخ الذين انحنوا له فتقدم اليهم وقبلهم واحدا واحدا ، وطلب اليهم الصلاة كما علمهم ، ثم ركب الزورق وعاد الى السفينة •

ولما جلس في الزورق وعادوا به يجذفون نحو السفينة • كان يسمع اصوات النساك يرتلون ويعهدون الترتيل • ولم تعد اصواتهم تسمع عندما اقترب الزورق من السفينة ، ولكن يمكن رؤيتهم في ضوء القمر واقفين كما تركوهم على الشاطيء ، اقصرهم في الوسط واطولهم على اليمين واوسطهم على الشمال • وما ان وصل الرجل السفينة وصعد اليها حتى رفعت المرساة ونشرت القلوع التي ملأتها الريح وسارت بالسفينة • وجلس الرجل التقي لدى الدفة وراح يراقب الجزيرة التي تركوها • ظل يرى النساك مدة ولكنهم اختفوا عن الانظار على الرغم من رؤية الجزيرة التي تلاشت ايضا ولم يعد يرى غير البحر المترقرق في ضوء القمر •

واستلقى الحجاج ليناموا وكان كل شيء هادئا على ظهر السفينة • ولم يكن الرجل التقي راغبا في النوم بل جلس وحده لدى الدفة يحدق في البحر ، حيث لم تعد الجزيرة ترى ، ويفكر بالشيوخ الطيبين وحمد الله الذي اعانه على تعليم مثل هؤلاء الرجال الورعين •

هكذا جلس الرجل التقي يفكر ويحدق في البحر حيث اختفت الجزيرة وخفق ضوء القمر امام عينيه وتألق مرة هنا ومرة هناك فوق الامواج • ورأى على حين غرة شيئا ابيض يشع في المسلك

اللامح الذي يلقيه القمر عبر البحر • اهو نورس أم شراع صغير متألق لزورق صغير ؟ ثبت الرجل التقي عينيه وتساءل :

— لابد انه زورق يجري وراءنا ولكنه يلحق بنا سريعا بعد كان بعيدا جدا قبل دقيقة ولكن الان اقرب • لا يمكن ان يكون زورقا ، لانني لا استطيع ان ارى شراعا ، ولكن مهما يكن فانه يتبعنا ويلحق بنا •

ولم يستطع ان يعرف اي شيء هو : ليس زورقا ولا طائرا ولا سمكة ! انه اكبر من انسان واحد ، فضلا عن ان الانسان لا يمكن ان يكون هناك في وسط البحر • نهض الرجل التقي وقال لمدير الدفة :

— انظر ، ما هذا ياصديقي ؟ ماهو ؟

وراح الرجل التقي يكرر ذلك على الرغم من انه يستطيع الان ان يرى بوضوح ما هو — النساك الثلاثة يركضون فوق الماء ، بيضا لامعين ، ولحاهم الرمادية مشرقة ، ويقتربون من السفينة سريعا كأنها لم تكن تتحرك •

نظر مدير الدفة وترك مرتعبا •

— يا الهي ! النساك يركضون وراءنا على الماء كأنه ارض يابسة !

لما سمعه الركاب وثبوا واقفين وتجمهروا قرب الدفة • ورأوا النساك يأتون يدا بيد وكان اللذان على الطرفين يشيران للسفينة ان تتوقف • كان الثلاثة ينزلون على الماء من دون ان يحركوا

اقدامهم • وقبل ايقاف السفينة وصلها النساك رافعين رؤوسهم وقالوا بصوت واحد :

ـ لقد نسينا تعاليمك يا عبدالله • وكنا نتذكرها ما دمنا نكررها ولكن عندما توقفنا عن قولها مدة ، ضاعت منها كلمة • اما الان فقد تفككت • ولا نتذكر شيئا منها • اعد تعليمنا •

وحمد الرجل التقي ربه واثنى عليه ومال فوق سياج السفينة وقال :

ـ ستصل صلاتكم الى الله ، يا عباد الله • فادعوا لنا في صلاتكم •

وانحنى الرجل التقي للشيوخ الذين استداروا وعادوا عبر البحر • واشرق ضوء حتى مطلع الفجر في البقعة التي اختفوا فيها عن الانظار •

سنة (١٨٨٦) م

الجني وكسرة الخبز



خرج فلاح فقير ذات صباح مبكرا للحراثة وقد اخذ معه كسرة خبز لافطاره • اعد المحراث ولف الخبز في معطفه ووضعه تحت شجيرة وبدأ العمل • تعب الحصان بعد مدة وجاع الفلاح • ففك المحراث واطلق الحصان يرعى ، وذهب الى معطفه ليتناول افطاره•

رفع المعطف ولكن الخبز اختفى ! وراح يبحث ويبحث وقلب المعطف ونفضه ـ ولكن الخبز اختفى • ولـم يستطع الفلاح ان يفهم ذلك قط •

وفكر : هذا امر غريب • ولم أر أحد! ولكن على الرغم من ذلك فان شخصا قد جاء الى هنا واخذ الخبز !

كان الذي يسرق الخبز جنيا عندما كان الفلاح يحرث ، وكان في تلك اللحظة جالسا وراء الشجيرة ينتظر سماع الفلاح يسب ويلعن الشيطان • اسف الفلاح على ضياع فطوره ولكنه قال : لم يكن مفر من ذلك ، واني لن اموت من الجوع ! لا ريب ان من اخذ الخبز احتاج اليه • وعسى ان ينفعه !

وذهب الى البئر وشرب شيئا من الماء وارتاح قليلا ، ثم امسك بحصانه وشد العدة عليه واستأنف الحراثة •

وخاب امل الجني في عدم جعل الفلاح آثما ، خاطئا ، وذهب لابلاغ سيده الشيطان بما حدث •

جاء الى الشيطان واخبره كيف سـرق خبز الفلاح الذي قال : « عسى ذلك ان ينفعه ! » بدلا من ان يلعنه .

غضب الشيطان واجاب : أذا غلبك الانسان فتلك غلطتك ـ فانت لا تفهم عملك ! واذا اعتاد الفلاحون ، وزوجاتهـم من بعدهـم ، ذلك ، فسيلم بنا الخراب ، ونشرف على الموت . فلا يمكن ترك الامر على هذه الحال ! عد حالا واصلح الامور . واذا لم تغلب ذلك الفلاح في ظرف ثلاث سنين فاني ساغطسك في ماء رهيب !

ارتعب الجني وعاد مذعورا الى الارض وهو يفكر في كيفية اصلاح خطئه . وظل يفكر ويفكر حتى عثر اخيرا على خطـة جيدة .

وحول نفسه الى عامل وذهب واشتغل لدى الفلاح الفقير . ونصحه في السنة الاولى ان يزرع حنطة في ارض رطبة . وسمع الفلاح النصيحة وزرع الحنطة في تلك الارض . وجاءت السنة بلا امطار فجفت زروع الفلاحين الاخرين وحرقتها الشمس ولكن حنطة الفلاح الفقير نمت كثيفة طويلة غزيرة السنابل . ولم تكن الحنطة كافية له طول العام فقط بل فاض عن حاجته كثير .

ونصح الجني الفلاح في السنة الثانية ان يزرع التل وجاء الصيف غزير الامطار ، طرحت حنطة الفلاحين الاخرين ارضـا وتعفنت ولم تكتمل السنابل . ولكن حنطة الفقير بقيت واقفة على التل وكانت غلتها وفيرة تزيد على الموسم السابق فلم يعرف ماذا يفعل بهـا .

وعلم الجني الفلاح كيف ينقع جريش الحنطة في ماء سـاخن

ويحركه ويستقطر مشروبا روحيا منها • وصنع الفلاح مشروبا قويا وصار يشرب منه ويقدمه لاصدقائه •

وذهب الجني الى سيده الشيطان وتباهى بانه اصلح خطأه • فقال الشيطان انه سيذهب ليرى هو نفسه واقع الحال •

جاء الى بيت الفلاح ورأى ان الفلاح دعا جيرانه الموسرين وصار يقدم لهم الشراب • وكانت زوجته هي التي تحمله الى الضيوف • وعندما كانت تديره عليهم تعثرت بالمنضدة واندلق الشراب •

غضب الفلاح وزجر زوجته قائلا لها : ماذا فعلت ايتها الفاجرة ؟ اتظنين انه ماء مجاري وتروحين تسكبين مثل هذا الشراب النفيس على الارض ؟

ووكز الجني سيده الشيطان بمرفقه وقال : انظر ، ذلك هو الرجل الذي لم يتذمر بشأن قطعة خبزه الوحيدة •

وكان الفلاح ما يزال يعنف زوجته بألفاظ جارحة ، وراح هو نفسه يحمل الشراب الى الضيوف • في تلك الاثناء دخل فلاح فقير عائد من عمله من دون دعوة وحيا الجماعة وجلس ورآهم يشربون • وشعر بالرغبة في الشراب بعد تعب عمل نهاره المنصرم • جلس وجلس وسال لعابه وبدلا من أن يقدم له ربّ البيت شيئا غمغم قائلا : لست بمستطيع أن أجد الشراب لكل قادم •

فرح الشيطان ولكن الجني ضحك ضحكة خافتة وقال : انتظر قليلا ، سيأتي المزيد !

شرب الفلاحون الاثرياء وشرب مضيفهم ايضا • وبدأوا يستعملون كلمات زائفة مداهنة فيما بينهم •

أصغى الشيطان واستمع واثنى على الجني ، وقال :

اذا كان الشراب يجعلهم ماكرين فيخدع بعضهم بعضا ، فسرعان ما سيكونون بايدينا .

فقال الجني : انتظر ما سيأتي . ولتدر الكؤوس مرة اخرى . انهم الان كالثعالب يهزون أذنابهم ويحاول كل واحد منهم الالتفاف حول الاخر ، ولكن سرعان ماستراهم كالذئاب الكاسرة .

وتناول الفلاحون كأسا اخرى وصار حديثهم أشد غلظة وفظاظة . وبدأوا يشتمون بعضهم بعضا ويزمجرو بوجه صاحبه . وسرعان ما شرعوا يتخاصمون ويقرص أحدهم أنف الاخر . وشارك المضيف في الشيء ، ونال نصيبه من الضرب المبرح .

نظر الشيطان الى ذلك وغمره فرح طاغٍ .

وقال : هذا شيء ممتاز !

ولكن الجني قال : رويدك . فان الافضل قادم : انتظر حتى يتناولون كأسا ثالثة . ها هم الان يحتدمون كالذئاب ولكن دعهم يتناولون كأسا اخرى ، عندئذ سيكونون كالخنازير .

وتناول الفلاحون كأسهم الثالثة . وصاروا كالبهائم . وغمغموا وصاحوا ولا يعلمون السبب ولم يعد أحدهم يستمع لصاحبه .

وبدأ الشمل يفترق . وخرجوا بعضهم فرادى وبعضهم يتوكأ على بعض وجميعهم يترنحون في الشارع . وخرج المضيف يستحث ضيوفه على الاسراع ولكنه سقط على انفه في بركة آسنة ولطخ نفسه من قمة رأسه حتى اخمص قدميه وظل مستلقيا فيها يقبع كالخنزير .

زاد سرور الشيطان بذلك .

وقال : حسنا ، لقد نجحنا نجاحا رائعا بهذا الشراب الممتاز واصلحت خطأك الفاضح بشأن الخبز . ولكن أخبرني كيف يصنع هذا الشراب . لابد انك وضعت فيه اولا دم ثعلب ثم اظنك أضفت اليه دم ذئب . وهذا ما جعلهم ضواري كالذئاب . ولابد انك انتهيت بدم خنزير لتجعلهم يتصرفون كذلك .

فقال الجني : لا ، لم أفعل ذلك بتلك الطريقة ، ان كل ما فعلته هو ان جعلت الفلاح يملك من الحبوب اكثر من حاجته . وان دم الحيوانات يسري دائما في عروق الانسان ، ولكن مادام يملك قدر حاجته من الحبوب فانه يظل ضمن الحدود . فلم يتذمر الفلاح بشأن قطعة خبزه الوحيدة مادام في حاله تلك ، ولكنه عندما فاض الموجود من الحبوب عن حاجته ، صار يبحث عن وسائل المتعة بواسطة ذلك . وقد دللته على سبيل المتعة بالشراب ! وعندما بدأ يحول ما وهبه الله من خير الى مشروب روحي من أجل متعته الخاصة فان دماء الثعالب والذئاب والخنازير التي فيه تسربت الى الخارج . واذا استمر في الشرب فسيظل حيوانا أعجم على الدوام !

أثنى الشيطان على الجني وغفر له خطيئة الاولى ، ورفعه درجة أعلى في سلم الشرف .

(١٨٨٦)

كم من الارض يحتاج الانسان ؟



(١)

جاءت أخت كبرى لزيارة اختها الصغرى في الريف . كانت الكبرى متزوجة من تاجر في المدينة والصغرى من فلاح في القريه. وراحت الأخت الكبرى في اثناء جلوسهما حول الشاي تتحدث ، راحت تتباهى بمحاسن حياة المدينة وما اطيب الحياة التي يحيون وما احسن الثياب التي يلبسون ، وما أجمل الملابس التي يلبس الاطفال ، وما أطيب ما يأكلون ومايشربون ، وكيف يرتادون المسارح والمتنزهات وأماكن اللهو !

اغتاظت الاخت الصغرى وذمت حياة التاجر وناصرت حياة الفلاح . وقالت : أنا لن اوافق على ابدال حياتي بحياتك . قد تكون حياتنا غثة ولكنها تخلو من القلق . أما انتم فتعيشون باسلوب أفضل منا ، ولكن على الرغم من انكم تكسبون اكثر مما تحتاجون فانكم قدتخسرون كل ما تملكون ، كما يقول المثل « توأمان ، الكسب والخسران » . وكثيرا ما يحدث أن يكون المرء غنيا اليوم ويشحذ خبز يومه غدا . طريقتنا في الحياة أسلم . وعلى الرغم من أن حياة الفلاح ليست مترفة . غير انها طويلة . فنحن لن نصبح اغنياء ولكننا نملك ما يكفي لسد الاود .

فقالت الكبرى ساخرة : يكفي ؟ أجل، اذا كنتم تحبون مشاركة

الخنازير والعجول ! ماذا تعرفون عن الاناقة والسلوك الحسن ! ومهما يكد زوجك ويكدح فانكم تموتون كما أنتم عائشون ــ على كومة من الروث ــ وكذلك أولادكم .

فقالت الصغرى : وماذا في ذلك ؟ في عملنا ، بطبيعة الحال ، فظاظة وخشونة ، ولكنه من الناحية الاخرى مضمون ولا نحتاج الانحناء لاحد ، غير انكم في مدنكم محاطون بالمغريات . فقد تكون الامور اليوم على مايرام وقد يغري الشيطان زوجك غداً بالقمار أو الخمرة أو النساء ويؤول كل شيء الى دمار . الا تحدث مثل هذه الامور في غالب الاحيان ؟

كان (فاهوم) ، رب البيت ، مستلقيا على التنور ويستمع الى ثرثرة المرأتين وفكر في نفسه ! هذا صحيح تماما ، فنحن الفلاحين منشغلون منذ طفولتنا نحرث الارض وليس لدينا متسع من الوقت لنفسح في المجال ان نستقر في عقولنا أية تفاهات . ولكن مشكلتنا الوحيدة هي اننا لا نمتلك أرضا كافية . فلو كان لي ارض واسعة فلن اخشى الشيطان نفسه .

انتهت المرأتان من الشاي وثرثرتا قليلا عن الملابس ، ثم رفعت ادوات الشاي ، واستلقت كل واحدة منهما لتنام .

ولكن الشيطان كان جالسا وراء التنور وسمع كل ما قيل . وسره ان زوجة الفلاح قادت زوجها الى التباهي ، والى القول انه لو ملك كثيرا من الارض فانه لن يخاف الشيطان نفسه .

ففكر الشيطان : حسنا ، سنكون في صراع . وسوف اعطيك ارضا كافية وسأجعلك بفعل تلك الارض تحت نفوذي .

(٢)

عاشت قرب القرية مالكة أرض صغيرة تبلغ مساحة مقاطعتها نحو ثلاث مئة ايكر . وكانت دائما على وفاق مع الفلاحين ولكن علاقتها ساءت بسبب وكيلها ، المحارب القديم ، الذي اثقل كاهل الناس بالغرامات . ومهما حاول (فاهوم) أن يكون حذراً ، فقد كان احد خيوله يدخل حقل شوفان السيدة مرارا وتكرارا ، و تضل بقرة له طريقها فتدخل بستانها ، او تذهب عجوله الى مراعيها . فيتحتم عليه دائما دفع غرامة .

كان (فاهوم) يدفع ويتذمر ويعود الى البيت منفعلا ويعامل عائلته بفظاظة . وكان ذلك الوكيل مصدر ازعاج كثير لفاهوم في غضون موسم الصيف حتى انه كان مسرورا بمجيء الشتاء وكون الماشية تحفظ في الحظائر وعلى الرغم من انه يشكو امر العلف عندما لا تستطيع الرعي في المرعى ، فانه في الاقل يكون خالي النفس من القلق بشأنها .

وانتشر خبر في الشتاء أن السيدة ستبيع أرضها وان صاحب الخان الذي على الطريق الخارجي العام يساوم من أجل شرائها . وارتعب الفلاحون عندما سمعوا ذلك .

وقالوا : اذا حصل صاحب الخان على الارض فانه سيرهقنا بالغرامات بما هو أسوأ مما يفعل وكيل السيدة . اننا جميعا نعول على هذه المقاطعة .

فذهب الفلاحون باسم جمعيتهم وسألوا السيدة ألا تبيع الارض الى صاحب الخان عارضين عليها سعرا أفضل . وافقت

السيدة على بيعها لهم • ثم حاول الفلاحون أن تدبر الجمعية شراء المقاطعة كاملة لكي تكون لمصلحة الجميع • واجتمعوا مرتين لمناقشة الامر ولكنهم لم يستطيعوا حسم المسألة فقد بذر الشيطان الفرقة بينهم ولم يكن بوسعهم الاتفاق • فقرروا شراء الارض فرادى ، كل على وفق موارده ، ووافقت السيدة على هده الخطه كما وافقت على سابقتها •

وسمع (فاهوم) أن احد جيرانه اشترى خمسين ايكراً وان السيدة وافقت على قبول نصف الثمن نقدا والانتظار سنة على النصف الاخر • فشعر فاهوم بالحسد •

وفكر : انظر الى ذلك • ستباع الارض كلها ولن احصل على شيء منها •

وحدث زوجته بذلك •

وقال : الناس يشترون • ويجب علينا ايضا ان نشتري عشرين ايكراً • اصبحت الحياة عسيرة • وان هذا الوكيل يحطمنا بغراماته •

فتشاورا وفكرا بطريقة يستطيعان تدبير امرهما في شرائها • لديهما مئة روبل ادخراها ، وباعا مهراً ونصف مالديهما من نحل واجر[٣] أحد ابنائهما عاملا وتسلما اجوره مقدما واقترضا البقية من أحد اخوة زوجته • وهكذا جمعا نصف المبلغ بجهد لشراء الارض •

واختار (فاهوم) بعد ذلك حقلا مساحته اربعون ايكراً ، تنمو الاشجار في قسم منه • وذهب الى السيدة لمساومتها عليه • واتفق الاثنان وتصافحا بشأن ذلك ودفع لها عربونا على سبيل المقدمة •

ثم ذهبا الى المدينة • ووقعا صكوك نقل الملكية العقارية ، ودفع نصف الثمن وتعهد بدفع البقية في غضون سنتين •

وبهذا صار (فاهوم) يمتلك أرضا خاصة به • واقترض بذور بذرها في الارض التي اشتراها • وكان الحاصل وفيرا ، واستطاع في غضون سنة تسديد ديونه الى السيدة والى أخ زوجته • وهكذا أصبح مالك ارض ، يحرث ويبذر ارضه ، ويحزم الحشيش للعلف في أرضه ، ويقطع أشجاره ويرعى حيواناته في مراعيه • وكان عندما يخرج لحراثة حقوله أو القاء نظرة على حبوبه المزروعة أو على مروجه ، يمتلىء قلبه بالبهجة • وبدا له العشب الذي ينمو والزهور التي تتفتح مغايراً لكل ماينمو في أي مكان اخر • كانت الارض في السابق تبدو مشابهة لغيرها عندما يمر عليها ، أما الآن فانها تبدو مختلفة •

(٣)

وقنع (فاهوم) قناعة تدل على الرضا • وان كل شيء سيكون على مايرام لو أن الفلاحين المجاورين لن يتجاوزوا على حقول حنطته ومراعيه • والتمسهم بكل لطف ولكنهم واصلوا تجاوزاتهم : فمرة يسوق الرعاة أبقار القرية الى مراعيه ، ومرة اخرى قد تدخل حقل الحنطة الخيول التي ترعى ليلا • وكان (فاهوم) يطردها مرارا وتكرارا ويغفر لاصحابها • وظل يمسك طويلا عن مقاضاة أحد منهم ، غير ان صبره نفد في نهاية الامر وشكاهم لدى المحكمة • كان يعرف ان سبب ذلك هو حاجة الفلاحين الى الارض ، ولم يكن في عملهم سوء نية ، ولكنه راح يفكر :

— ليس بوسعي الاستمرار في التغاضي عنهم والا فانهم سيدمرون كل ما أملك . فلابد من تعليمهم درساً .

فجمعهم والقى عليهم درسا ثم درسا اخر ، وفرض الغرامة على فلاحين أو ثلاثة . ثم بدأ جيران (فاهوم) متذمرون من عمله ذلك ، وصاروا يطلقون مواشيهم بين حين وحين في أرضه عمداً . وقد دخل أحد الفلاحين ليلاً في غابته وقطع خمس أشجار زيزفون فتيه من أجل لحائها . مرّ (فاهوم) ذات يوم في الغابة ولاحظ شيئا أبيض . اقترب ورأى الجذوع المقشرة ملقاة على الارض قريبا الى أصولها المقطوعة . فاستشاط فاهوم غضبا .

وفكر : لو انه قطع واحدة هنا واخرى هناك لكان الامر بالغ السوء ، فكيف بهذا الوغد يقطع مجموعة كاملة . لو أنني أعرف من فعل ذلك لسمته سوء العقاب .

وأجهد فكره لمعرفة الفاعل ، واستقر اخيرا على رأي : « لابد انه سيمون — لم يفعل ذلك احد غيره » ، فتوجه الى منزل سيمون ليلقي نظرة ، بيد انه لم يجد شيئا ، فثار غضبه على انه أيقن ان (سيمون) هو الذي اقترف ذلك فاقام عليه الدعوى . واستدعي (سيمون) للمثول أمام القضاء . وجرت محاكمته واستأنفت ثم افرج عنه في نهاية الامر لعدم توفر الادلة ضده . وشعر (فاهوم) بالظلم فصبّ جام غضبه على رئيس المحكمة وأعضائها .

وقال : انكم تدعون اللصوص يدهنون ايديكم . لو انكم قوم شرفاء لما اطلقتم سراح لص من اللصوص .

وهكذا صار فاهوم يتخاصم مع القضاة ومع جيرانه • وبدأت تصله تهديدات بحرق مبناه • ولهذا غدت مكانة (فاهـــوم) في الجمعية اسوأ من ذي قبل على الرغم من امتلاكه ارضا اكثر •

وسرت في ذلك الحين اشاعة ان كثيرا من الناس كانوا ينتقلون الى مناطق جديدة •

ففكر فاهوم : لا حاجة بي أن اترك ارضي • قد يترك بعـــض الناس قريتنا عندئذ سيكون لدينا متسع من الارض • وســوف استولي على أرضهم وأجعل مقاطعتي اكبر ، عندئـــذ يمكـــن أن أعيش مطمئن البال • ولكن مادام الحال كذلك فانني احيا حيـــاة العســـر •

كان فاهوم جالسا ذات يوم في البيت فزاره أحد الفلاحين الذي مر بالقرية • دعاه الى المبيت وقدم له العشاء • تحدث فاهوم معـــه وسأله من اين جاء • أجابه الغريب انه أتى من وراء الفولكا ، حيث كان يشتغل • وجرّ الحديث بعضه بعضا فقال الرجل ان كثيرا من الناس صاروا يستقرون في تلك المناطق • وحدثه عـــن اســـتقرار بعض من أبناء قريته هنالك • وقد التحقوا بالجمعية وقد وهب رجل خمسة وعشرين ايكراً • وكانت الارض طيبة ، على حـــد قوله ، بحيث ان الشيلم المزروع فيها ينمو بارتفاع الحصان ، وانه كثيف جدا بحيث أن خمس قطعات بالمنجل تكون رزمة ، وقال ان احـــد الفلاح لم يجلب معه شيئا سوى يديه العاريتين وانه الان يملك ستة خيول وبقرتين •

اضطرم فؤاد فاهوم بالرغبة العارمة وفكر :

— لماذا أعاني في مثل هذا المكان الضيق ، اذا كان المرء يستطيع أن يعيش برفاهية في مكان اخر ؟ سأبيع أراضي ومنزلي هذا وابدأ هناك بالمال ، من جديد واحصل على كل شيء جديد • وان المرء يواجه مشكلات كثيرة في مثل هذا المكان المزدحم • ولكن يجب ان اذهب اولا واتحرى أنا بنفسي عن كل شيء •

تأهب قبيل الصيف ورحل في سفينة بخارية على نهر الفولكـا قاصدا (سمارا) ، ثم سار ثلاث مئة ميل اخرى على الاقدام حتى وصل المكان المطلوب • ووجده كما وصفه الغريب • الفلاحون يمتلكون كثيرا من الارض : كل رجل لديه خمسة وعشرون ايكرا من ارض الجمعية اعطيت لاستعماله الخاص • ويستطيع كل من يملك المال ان يشتري ، فضلا عن ذلك ، الايكر بدرهمين ماشاء من ارض ملكها صرف وبعد ان وجد كل ما كان يرغب في معرفته عاد الى بيته عند الخريف وراح يبيع ممتلكاته • باع ارضه بربح وباع منزله وماشيته كلها وانسحب من عضويه الجمعية • وانتظر حتى الربيع ثم رحل مع عائلته الى المستوطن الجديد •

(٤)

ما ان وصل (فاهوم) وعائلته الى مستقرهم الجديد حتى قدم طلبا •• للانتماء الى جمعية قرية كبيرة • وقام بجميع النفقات التي طلبها « الكبار » وحصل على الوثائق الضرورية • واعطيت لـه خمس حصص من ارض الجمعية ولاولاده أي ما يبلغ مئة وخمسة وعشرين ايكرا (ليست مجتمعة في مكان واحد في حقول مختلفة) •

فضلا عن حق استعمال مرعى الجمعية المشترك . واقام (فاهوم) المباني التي احتاجها واشترى ماشية . وكان ماحصل عليه من ارض الجمعية وحدها ثلاثة اضعاف ما كان لديه سابقا وكانت الارض صالحة لزراعة الحنطة . وصارت حاله افضل عشرة اضعاف ما كانت عليه فغدا يملك أرضا واسعة صالحة للزراعة وللرعي واستطاع ان يجني عددا كبيرا من الماشية كما يحب .

وفي صخب البناء وعجلة الاستقرار كان (فاهوم) مسرورا بكل شيء ولكنه عندما اعتاد ذلك بدأ يفكر انه حتى في هذا المكان لا يملك من الارض مايكفي . ففي السنه الاولى زرع حنطة على حصته من ارض الجمعية وكان الحاصل ممتازا . واراد ان يستمر في زراعة الحطنة ولكنه لم يكن يملك من ارض الجمعية مايكفي لهذا الغرض . وان ما استعمله حاليا لم يكن ذا نفع عظيم لان الحنطة في تلك الاصقاع لا تزرع الا في ارض بكر او ارض مراحة . فهي تزرع سنة او سنتين ثم تترك من غير زرع لاراحتها حتى تكسوها اعشاب البراري . كان كثير من الناس يريدون مثل تلك الاراضي ولم تكن الارض تكفي الجميع ، لذلك كان الناس يتخاصمون بشأنها . اما اولئك الذين كانوا أفضل حالا فقد كانوا يريدونها لزراعة الحنطة ، وكان الفقراء يريدونها لتأجيرها للمتاجرين لكي يجمعوا مالا يسددون به الضرائب المترتبة عليهم . اراد (فاهوم) ان يزرع من الحطنة لذلك استأجر ارضا من تاجر لمدة سنة . وزرع حنطة كثيرة وكان الحاصل رائعا ، ولكن الأرض كانت بعيدة عن القرية ــ فيجب نقل الحنطة بالعربة مسافة تزيد

على عشرة اميال • وقد لاحظ (فاهوم) بعد مدة وجيزة ان بعض التجار المزارعين يعيشون في مزارع منفصله وكانوا يزدادون ثـراء وراح يفكر :

— لو أني اشتريت ارضا ملكا صرفا وبنيت عليها منزلا ، فان الامر سيكون عندئذ مختلفا تمام الاختلاف ، سيكون كل شيء محكما ورائعا • ظلت فكرة شـراء ارض من ملك صرف تراوده مرارا وتكرارا •

واستمر على هذا النحو ثلاث سنوات يستأجر الارض ويزرعها حنطة وكانت المواسم جيدة والغلة ممتازة ، وصار يوفر المـال • وكان من الممكن ان يستمر على هذا العيش قانعا ، ولكنه ضجر من استئجار اراضي الاخرين كل سنة ويتزاحم عليها بالمناكب ، فحيثما وجدت ارض جيدة تدافع المزارعون عليها متكالبين ويأخذونها في الحال • وحدث في السنة الثالثة ان استأجر مع تاجر اخر اراضي قطعة من مرعى من بعض المزارعين ، وكانوا قد حرثوها منذ عهد قريب وحدث جدال بشأنهـا واشتكى المزارعون في المحكمـة وتطورت الامور حتى اصبحت النتيجة ضياع كل شيء •

وفكر فاهوم : لو كانت ارضي لكنت مستقلا •• ولما حدثت كل هذه المنغصات •

وهكذا بدأ (فاهوم) يبحث عن ارض يمكن ان يشتريها • وصادف مزارعا اشترى الفا وثلاث مئة ايكر ولكن المزارع وقع في مصاعب ورغب في بيعها رخيصا • ساومه فاهوم وماحكه ورسيا اخيرا على سعر الف وخمس مئه روبل ، يدفع قسم منهـا نقـدا

والقسم الاخر فيما بعد . وما ان حسم الامر ، حتى توقف تاجر ازاض مسافر لدى (فاهوم) ذات يوم ليجد علفا لخيوله . شرب الشاي مع فاهوم وتحدثا . وقال التاجر انه كان عائدا من بلاد البشكيريين البعيدة حيث اشترى ثلاثة عشر الف ايكر من الارض بألف روبل . سأله (فاهوم) مزيدا من الاسئلة . وقال التاجر :

— كل ما يحتاج المرء هو ان يصادق رؤساءهم . فاني اعطيت نحو ما يساوي مئة روبل من ثياب حرير وبسط فضلا عن صندوق الشاي واعطيت خمرا لمن يشربها وحصلت على الارض بأقل من اربعة فلوس للايكر الواحد . وعرض عليه صكوك التمليك العقاري قائلا :

— تقع الارض قرب نهر وكل المروج ارض بكر .

وأمطره فاهوم بالاسئلة فاجاب التاجر :

— توجد ارض هناك اكثر من ان تستطيع قطعها حتى ولو مشيت سنة كاملة ، وكلها تعود للبشكيريين . انهم سذج كالاغنام ويمكن الحصول على الارض بقيمة تكاد لاتساوي شيئا .

ففكر فاهوم : هانذا الان املك الف روبل واستطيع بهذا المال لو اخرجته الى هناك ان احصل على اكثر من عشرة اضعاف هذه الارض .. فكيف اقنع بها وهي الف وثلاث مئة ايكر فضلا عن اني سأثقل كاهلي بالديون ؟

(٥)

سأل (فاهوم) كيف الوصول الى ذلك المكان ، وما ان غادره التاجر حتى تأهب فاهوم للذهاب الى هناك ٠ وترك زوجته لرعاية البيت وانطلق في رحلته مصطحبا خادمه معه ٠ وتوقفا في طريقهما في احدى المدن واشتريا صندوقا من الشاي وبعض الخمر وهدايا اخرى كما نصح التاجر ٠ وظلا يغذان المسير حتى قطعا اكثر من ثلاث مئة ميل ، ووصلا في اليوم السابع مكانا نصب البشكيريون خيامهم فيه ٠ انها كما وصفها التاجر ٠ يعيش اناسها في السهوب عند احد الانهر في خيام مدمرة من الجلد ٠ فلاهم يفلحون الارض ولا يأكلون الخبز ٠ وترعى ماشيتهم وخيولهم في قطعان في السهوب ٠ وتربط الامهار وراء الخيام بحبال طويلة لترعى ٠ وتساق اليها امهاتها مرتين في النهار ٠ وتحلب الافراس ويصنع من حليبها شراب الكوميس ٠ وهو الذي تحضره النساء وهن اللائي يصنعن الجبن ايضا ٠ وبقدر ما يتعلق الامر بالرجال فان كل ما يعنيهم هو شرب الكوميس والشاي واكل لحم الضأن والعزف على المزامير ٠ رجالهم اقوياء ، مرحون ، ولايفكرون بالعمل طوال الصيف ٠ وهم جهلة لايعرفون اللغة الروسية ولكنهم حسنو الاخلاق ٠

(٦)

وما ان رأوا (فاهوم) حتى خرجوا خيامهم وتجمهروا حول ضيفهم ٠ وجيء بمترجم ، وقال لهم (فاهوم) انه جاء من اجل بعض الارض ٠ وبدا السرور على البشكيريين ٠ اخذوا (فاهوم)

وادخلوه افضل الخيام ، حيث اجلسوه على فراش وثير مد على بساط وجلسوا حوله . وقدموا لــه الشاي والكوميس وذبحوا خروفا وقدموا له اللحم ليأكل . اخرج (فاهوم) الهدايا من عربته ووزعها على البشكيريين ، وقسم الشاي بينهم .وفرح البشكيريون . وتحدثوا كثيرا فيما بينهم ثم قالوا للمترجم ان يترجم .

فقال المترجم : أنهم يرغبون ان يقولوا لك انهم يودونك وانها عادتنا ان نفعل كل ما نستطيع من اجل ارضاء الضيف ونكافيء لــه هداياه . فقد منحتنا هدايا ، فقل لنا ماذا يرضيك في ما نملــك اكثر من غيره لكي نهديه اليك .

فأجاب فاهوم : ان اكثر ما يسرني لديكم هو أرضكم . فارضنا مزدحمة بالناس وتربتها مستنفذة ، ولكنكم تملكون ارضا واسعة وانها ارض طيبة . وانني لم ار شبيها لها .

فترجم المترجم . وتحدث البشكيريون فيما بينهم برهة . ولم يكن بوسع (فاهوم) ان يفهم ماذا كانوا يقولون ولكنه راى انهم كانوا مسرورين كثيرا وانهم كانوا يهتفون ويضحكون ، ثم صمتوا ونظروا الى (فاهوم) عندما قال المترجم :

ـــ يريدونني ان اقول لك انهــم سيعطونك مسرورين مقابل هداياك قدر ماتريد من الارض . وما عليك الا ان تشــير بيدك وستكون لك .

وعاد البشكيريين يتحدثون مرة اخرى برهة ويتناقشــون .

وسأل فاهوم ماذا كانوا يناقشون فقال له المترجم ان بعضهم يرى

وجوب سؤال رئيسهم بشأن الارض وعدم التصرف في غيابه ، في الوقت الذي يرى اخرون عدم وجود حاجة الى انتظار عودته .

حضر المكان رجل يعتمر قبعة كبيرة من فراء الثعالب في الوقت الذي كان البشكيريون يتناقشون . فصمت الجميع ووقفوا له . وقال المترجم : هذا هو رئيسنا .

وأحضر (فاهوم) على الفور أفضل ثوب وخمسة باونات من الشاي وقدمها للرئيس . تقبل الشيخ الهدية . وجلس في صدر المجلس . وسرعان مابدأ البشكيريون يخبرونه شيئا . وأصغى الشيخ برهة ثم أومأ لهم برأسه ان اسكتوا . وقال باللغة الروسية مخاطبا فاهوم :

— حسنا ، ليكن الامر كذلك . واختر لنفسك قطعة أرض تعجبك . فنحن لدينا كثير من الارض .

ففكر فاهوم في نفسه : وكيف استطيع ان آخذ بقدر ما يعجبني ؟ يجب أن احصل على صك للتملك يضمن ذلك والا قالوا : هي لك ،، ثم يعودون فيأخذونها .

وقال بصوت مسموع ! شكرا لك على كلماتك الرفيعة ولكني أود أن اتأكد أي قطعة تكون ؟ ألا يمكن قياسها وتحويل ملكيتها باسمي، فان الحياة والموت بيد الله. فانتم اناس طيبون اعطيتموني الارض ولكن أولادكم قد ينتزعونها مني .

فقال الرئيس : انت على حق . سنحولها باسمك .

وواصل فاهوم كلامه : سمعت ان تاجرا جاء الى هنا وانكم

اعطيتموه ارضا صغيرة ووقعتم له سندات التملك ، واني اود ان تفعلوا الشيء نفسه .

وفهم الرئيس

وقال : اجل ، يمكن اتمام ذلك بسهولة . فلدينا كاتب وسنذهب معك الى المدينة لختم السند بنحو تام وصحيح .

وسأل فاهوم : وما هو الثمن ؟

ــ الثمن عندنا واحد دائما . الف روبل في النهار .

ولم يفهم فاهوم .

في النهار ؟ أي مقياس هذا ؟ وكم ايكرا يكون ذلك ؟ فقال الرئيس : نحن لا نستطيع أن نقدر ذلك . نحن نبيعها بالنهار. فبقدر ما تستطيع ان تقطع على قدميك في النهار يكون ملكك ، والثمن الف روبل للنهار الواحد .

دهش فاهوم .

وقال : ولكنك تستطيع أن تسير حول قطعة كبيرة من الارض. فضحك الرئيس وقال : ستكون كلها لك ، ولكن هناك شرط واحد : اذا لم تعد في اليوم نفسه الى المكان الذي بدأت منه فانك تخسر نقودك .

ــ ولكن كيف لي أن اعين الطريق الذي سرت فيه .

ــ سنذهب الى أية بقعة تعجبك وتبقى هناك . وعليك ان تبدأ من تلك البقعة وتقوم بجولتك حاملا معك مسحاة ، مؤشرا في المكان الذي تراه ضروريا . احفر في كل منعطف حفرة وكوم

التراب وسوف تسير بمحراث من حفرة الى حفرة . ويمكنك ان تصنع بجولتك دائرة بقدر ما يسرك ولكن يجب أن تعود الى المكان الذي بدأت منه قبل غروب الشمس .

فرح فاهوم . وتقرر أن يبدأ مبكراً في صباح اليوم التالي . وتحدثوا بعض الوقت وشربوا مزيدا من الكوميس واكلوا مزيدا من لحم الغنم ، وشرب الشاي مرة أخرى ، ثم خيم المساء . وقدموا له فراشا من ريش لينام عليه . وتفرق البشكيريون معاهدين ان يجتمعوا فجرا ويخرجوا على الخيل قبل شروق الشمس الى المكان المحدد .

(٧)

استلقى فاهوم على فراش الريش ولكنه لم يستطع النوم فقد ظل يفكر في الارض .

ـ ما أوسع قطعة الارض التي ساحددها ! اني استطيع ان اسير خمسة وثلاثين ميلا في النهار بكل سهولة . والنهار طويل الان . فما اكبر الارض التي ستكون ضمن نطاق دائرة من خمسة وثلاثين ميلا ! سأبيع الارض الضعيفة او أؤجرها للفلاحين ، ولكني سأختار أفضلها واجعلها مزرعة . وسوف اشتري مجموعتين من الثيران واستأجر عاملين اخرين . وستكون مئة وخمسون ايكراً أرضا محروثة وسأترك الباقي لرعي الماشية .

ظل (فاهوم) ساهرا طوال الليل ولم يغلبه النعاس الا قبيل

الفجر . وما كادت عيناه تغمضان حتى رأى حلما وجد نفسه فيه مستلقيا في الخيمة نفسها وسمع شخصا يقهقه في الخارج . وتساءل من عساه يكون ، فنهض وخرج ورأى الشيخ البشكيري جالسا أمام الخيمة وهو يمسك جنبيه ويضحك . فاقترب من الشيخ وساله : « ما الذي يضحكك ؟ » ولكنه رأى انه لم يكن الشيخ بل التاجر الذي بات في بيته وأخبره عن الارض . واوشك فاهوم أن يسأله : « هل أنت هنا منذ وقت طويل ؟ » ولكنه رأى انه لم يكن التاجر بل الفلاح الذي جاء من الفولكا قبل مدة طويلة الى بيت فاهوم الاول ، ثم رأى انه لم يكن الفلاح أيضا بل الشيطان نفسه بحافرين وقرنين ، جالسا هنالك يضحك ، وقد استلقى أمامه رجل حافٍ وهو منبطح على الارض لا يلبس الا سروال وقميصا . وحلم فاهوم انه نظر بامعان ليرى أي نوع من الرجال ذلك المنبطح هنالك ، فرأى ان الرجل ميت وانه هو نفسه ! استيقظ مذعورا .

وفكر : ما هذه الاشياء التي يراها المرء في احلامه !

وتلفت حوله ورأى خلال الباب المفتوح ان الفجر بدأ ينبلج .

وفكر : حان وقت الاستيقاظ وينبغي ان نبدأ .

نهض وأيقظ خادمه (الذي كان نائما في العربة) وأمره أن يشد العدة . وذهب لدعوة البشكيريين .

وقال : حان وقت الذهاب الى السهوب لقياس الارض .

نهض البشكيريون واجتمعوا وحضر الشيخ ايضا . واخذوا يشربون الكوميس مرة اخرى وقدموا شيئا من الشاي الى فاهوم ولكنه لم يوافق على الانتظار .

وقال : اذا كان لابد من الذهاب ، فلنذهب . انه الوقت المناسب قبل فوات الاوان .

(٨)

تأهب البشكيريون . وانطلقوا جميعا في رحلتهم ، بعضهم على الخيل وبعضهم في عربات . كان (فاهوم) في عربته الصغيرة مع خادمه وأخذ مسحاة معه . وعندما وصلوا السهب كانت حمرة الغسق قد بدأت تضطرم . وهبطوا رابية يسميها البشكيريون (شيخان) وترجلوا من عرباتهم وخيولهم وتجمعوا في مكان واحد . وتقدم الشيخ الى فاهوم ومد ذراعه نحو السهل .

وقال : انظر ، هذا كله ، بقدر ما تستطيع عيناك أن تبصرا هو لنا . يمكنك أن تأخذ أي جزء تحب منه .

التمعت عينا فاهوم : انها جميعا ارض بكر ، منبسطة مثل راحة يدك ، سوداء مثل حبة الخشخاش ، وتنمو في الغيطان مختلف أنواع الحشائش بعلو صدر الانسان .

وخلع الشيخ قبعته التي كانت من فراء الثعالب ووضعها على الارض وقال :

— هذه هي العلامة . ابدأ من هنا وعد الى هناك مرة اخرى . كل الارض التي تدور حولها ستكون ملكك .

اخرج (فاهوم) ماله ووضعه على القبعة ، ثم خلع معطفه وبقي في صديري بلا اكمام . وفك حزامه وشده تحت بطنه ووضع كيساً صغيرا فيه خبز في عبّه وربط زمزمية ماء الى حزامه وسحب

اطراف حذائه الى الاعلى وتناول المسحاة من خادمه ووقف متأهبا للانطلاق • تأمل لحظات أي جهة يتخذ ـ وكانت كـل الجهـات مغريات •

وانتهى الى أن : لا فرق ، سأذهب باتجاه الشمس المشرقـة ووجه وجهه تجاه المشرق وتمطى وانتظر بـزوغ الشمس فـوق الافـق •

وفكر : يجب ألا أضيع وقتي ومن الاسهل المشـي والجـو مايزال باردا •

وما كادت أشعة الشمس تلمع فوق الافق حتى انطلق فاهوم نحو السهب حاملا مسحاته على كتفه •

انطلق (فاهوم) ماشياً غير مبطىءٍ ولا مسرع • وبعد ان قطع الف خطوة توقف وحفر حفرة ووضع التراب بعضه فـوق بعض ليكون اكثر وضوحا ، ثم واصل سيره ، وصـار يسـرع بخطوه بعد أن زال تصلب بدنه جراء المشي ، ثم حفـر حفـرة اخرى بعد مدة قصيرة •

نظر (فاهوم) الى الخلف واستطاع ان يرى الرابية بوضوح في ضوء الشمس والناس فوقها وكذلك الاطارات الملتمعة لعجلات العربات • قدر فاهوم بتخمين تقريبي انه قطع ثلاثة أميال • وصار الجو أشد حرارة • وخلع الصديري ، والقاه على كتفه ، واستأنف المسير ، واشتد الحر بعد ذلك • ونظر الى الشمس وجعله الوقت يفكر بالفطور •

وقال في نفسه : انتهت المرحلة الاولى ، ولكن هناك أربـع

مراحل في النهار . ومازال الوقت مبكرا للانعطاف . ولكنني سأخلع حذائي .

جلس وخلع حذاءه وعلقه بحزامه وواصل المسير . صار المشي أسهل الآن .

وفكر : سأسير ثلاثة أميال أخرى ثم استدير الى اليسار . هذه البقعة رائعة فمن المؤسف خسارتها . وكلما توغل الانسان بدت الارض أفضل .

واصل سيره بخط مستقيم مدة وعندما التفت كانت الرابية لا تكاد ترى والناس الذين عليها يبدون كالنمل الاسود واستطاع أن يرى شيئا يتلألأ في الشمس .

وفكر فاهوم : آه ، سرت بعيداً جداً بهذا الاتجاه وقد حان الوقت للانعطاف وان العرق ينضح مني باستمرار وقد أصابني ظمأ شديد .

توقف وحفر حفرة كبيرة وكوّم التراب ، ثم فك الزمزمية وتناول شربة ماء ، ثم استدار بشكل حاد الى اليسار . وظل يسير ويسير وكان العشب طويلا والحر شديدا .

وأخذ (فاهوم) يتعب . ونظر الى الشمس ورأى ان الوقت ظهر . وفكر : حسنا ، لابد أن استريح .

وجلس وأكل شيئا من الخبز وشرب قليلا من الماء . ولكنه لم يستلق ، لانه اذا فعل ذلك فقد ينام . وبعد ان جلس برهة قصيرة ، عاد يواصل مسيره . سار باديء ذي بدء بيسر : فقد

منحه الطعام قوة ، ولكن الحر أصبح لا يطـاق وشـعر بالنعاس ولكنه واصل المسير مفكرا : مشقة ساعة ، راحة الحياة كلها •

سار مسافة طويلة ايضا في هذا الاتجاه ، وكاد يوشك أن يستدير الى اليسار مرة اخرى ، الا انه لاحظ غيطا رطبا • وفكر: « ان من المؤسف ترك المكان فهو صالح لزراعـة الكتـان » • وواصل السير الى جنب الغيط ، وحفر حفرة على الجانب الاخر منه قبل أن ينعطف • ونظر فاهوم الى الرابية ، وجعل الحـر الهواء ضبابيا وبدا مرتعشا ، وقلما يمكن رؤية الناس خلال ذلك الضـباب •

وفكر فاهوم : آه ! « لقد جعلت الضلعين طويلين فلابد أن هذا الجانب اقصر » • وسار بخطى أسرع على هـذا الجانب • ونظر الى الشمس وكانت في منتصف المسافة تقريبا الى الافـق ، ولم يكد يقطع ميلين من الضلع الثالث للمربع • وكان مايـزال على بعد عشرة أميال من الهدف •

وفكر : يجب أن أعود مسرعا بخط مستقيم على الرغم من أن ذلك يجعل الارض غير متناسبة الاضلاع ، ومع هذا فانـي سأملك ارضا واسعة •

وحفر (فاهوم) حفرة على عجل واستـدار نحـو الرابيـة مباشـرة •

(٩)

سار (فاهوم) نحو الرابية بخط مستقيم ولكنه صار يمشي هذه المرة مشيا ثقيلاً ، فقد انهكه الحر وتشققت قدماه الحافيتان وانكدمتا وصارت ساقاه تخذلانه . وتمنى ان يرتاح ولكن ذلك مستحيل اذا كان يقصد العودة قبل الغروب . فالشمس لا تنتظر أحدا ، وكانت تميل الى الغروب شيئا فشيئا . وراح يفكر : يا ويلتاه ! لو انني لم اتخبط في المشي محاولا الاستحواذ على الكثير ! ماذا لو انني تأخرت كثيراً ؟

نظر نحو الرابية والى الشمس . كان مايزال بعيدا عن الهدف وقاربت الشمس خط الافق .

وراح (فاهوم) يمشي ويمشي وصعب عليه المسير ولكنه مضى أسرع فأسرع وظل يواصل ولكنه كان مايزال بعيدا عن المكان . وبدأ يركض ورمى سترته بعيدا والقى الحذاء وقارورة الماء وقبعته ولم يبق الا المسحاة التي صار يتوكأ عليها .

وعاد يفكر : ماذا سأفعل ؟ لقد استحوذت على كثير وخربت كل شيء . لن استطيع الوصول الى هناك قبل غروب الشمس .

وزاد هذا الخوف في انقطاع أنفاسه . وواصل ركضه ، والتصق قميصه وسراويله المبللان بالعرق على جسمه وكان فمه فاغراً . وكان صدره يعمل مثل منفاخ الحداد وقلبه يضرب كالمطرقة ، وأخذت ساقاه بالانهيار كأنهما لم تكونا جزءا منه . فاستولى عليه الرعب من أن يموت من الاجهاد .

ولم يتوقف على الرغم من خوفه من الموت • وصار يفكر : « سوف يسمونني مجنونا اذا توقفت بعد أن ركضت كل تلك المسافة » وظل يركض ويركض واقترب فسمع البشكيريين يصيحون ويهتفون له فزاد صياحهم اضطرام النار في قلبه واستجمع اخر قوته وواصل الركض •

اقتربت الشمس من الافق وقد لفها الضباب فبدت كبيرة وحمراء كالدم • والان ، أجل الان ، كانت توشك أن تغرب • كانت الشمس قد بلغت اوطأ نقطة وكان هو أيضا قريبا جدا من هدفه • واستطاع (فاهوم) أن يرى الناس على الرابية يلوحون له بأيديهم أن يسرع • واستطاع أن يرى قبعة الفراء على الارض والنقود عليها ، والشيخ جالسا على الارض ماسكا جنبيه ، وتذكر فاهوم الحلم •

وفكر : ثمة كثير من الارض ولكن هل يدعني الله اعيش فيها ؟ لقد ضيعت حياتي • ضيعت حياتي ! لن أصل تلك البقعة أبداً !

ونظر فاهوم الى الشمس التي وصلت : وقد اختفى جزء منها • واندفع بكل ما بقي له من قوة وقد مال بجسمه الى الامام فلم تكد ساقاه متابعة جسمه بالسرعة المناسبة التي تحفظه من السقوط • وما ان وصل الرابية حتى غدا الظلام دامساً • فنظر الى الاعلى • لقد غربت الشمس ! فاطلق صرخة وفكر « ضاعت كل جهودي هباء » واوشك أن يتوقف ولكنه سمع البشكيريين مايزالون يهتفون وتذكر انهم مايزالون يرون الشمس من الرابية

مع انه لا يستطيع رؤيتها من الاسفل • وأخذ نفسا عميقا • وصعد التل راكضا كان الضوء مايزال موجودا هناك • ووصل القمة ورأى القبعة وقد جلس الشيخ امامها يضحك ماسكا جنبيه • وتذكر حلمه مرة اخرى واطلق صيحة : وانهارت ساقاه تحته وتهاوى الى الامام ووصل القبعة بيديه •

فهتف الشيخ ! آه ، انه شخص رائع ! لقد كسب أرضا كثيره •

وجاء خادم (فاهوم) راكضا الى أعلى الرابية وحاول أن ينهضه غير أنه وجد دماً يسيل من فمه • لقد مات فاهوم !

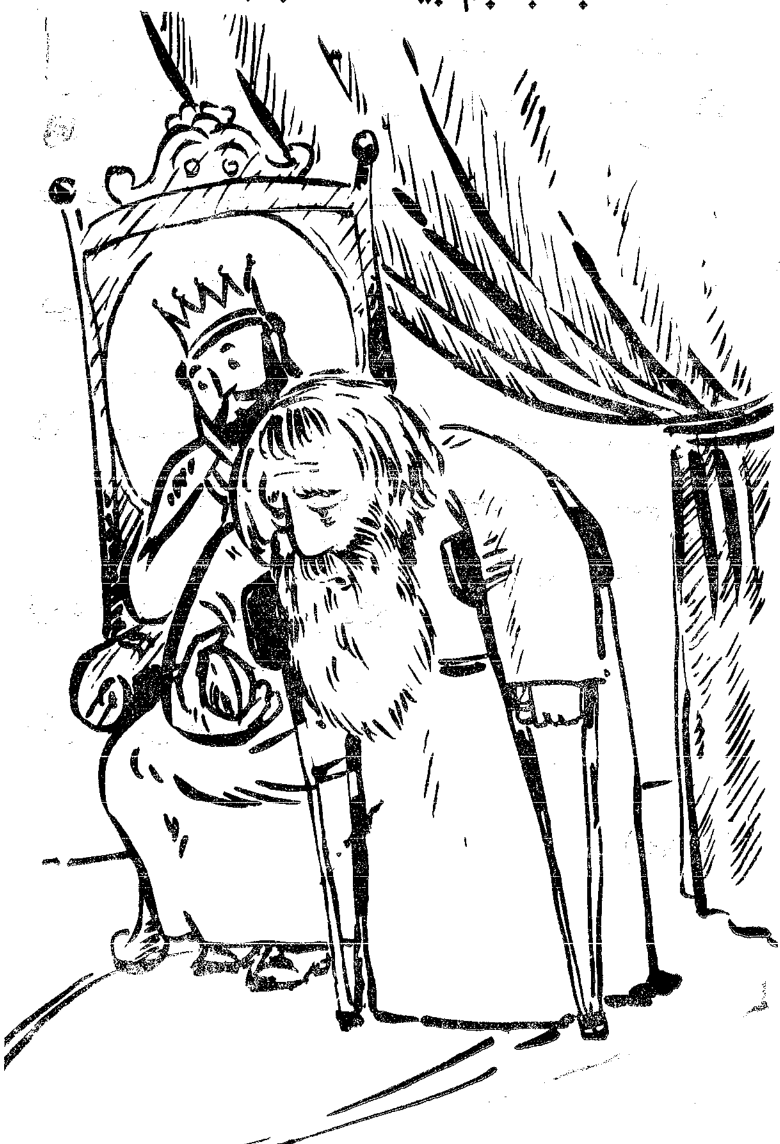
وطقطق البشكيريون بألسنتهم تعبيرا عن ترحمهم •

وتناول خادمه المسحاة وحفر قبرا يكفي فاهوم أن يُسجّى فيه ، وحين أتم دفنه تمثل قائلاً :

« كل ما يحتاجه الانسان من الارض ست اقدام من رأسه حتى أخمصي قدميه » •

(١٨٨٦)

حبة بحجم بيضة الدجاجة



في يوم من الايام وجد بعض الاطفال في وهدة مـن الوهاد شيئا يشبه حبة الحنطة وله اخدود في الوسط ولكنه بحجم بيضـة الدجاجة • رأى عابرٌ سبيل ذلك الشيء واشتراه مـن الاطفـال بثمن بخس وأخذه الى المدينة وباعه الى الملك تحفةً من التحف النـادرة •

جمع الملك حكماءه وطلب منهـم أن يكتشفوا كُنه ذلـك الشيء • تأمل الحكماء وتأملوا ولم يستطيعوا أن يتوصلوا الى شيء ذي بال ، حتى جاء يوم ، عندما كان ذلك الشيء ملقى في عتبة أحد الشبابيك ، طارت دجاجة اليه وصارت تنقر فيه حتى صنعت ثقبا فيه ، ورأى الجميع انه حبة حنطة • وذهب الحكمـاء الى الملك وقالوا :

— انه حبـة حنطـة •

دهش الملك دهشة بالغة ، وأمر العلماء ان يتحروا أين تزرع مثل هذه الحبوب ومتى •

فعاد العلماء يتأملون وبحثوا في كتبهم ولم يستطيعوا العثور على شيء بشأنها • فعادوا الى الملك وقالوا :

— لا نستطيع أن نقدم لك جوابا • فليس في كتبنا شيء عـن

ذلك • لا بد أن تسأل الفلاحين • لعل بعضهم سمع من آبائه متى وأين كانت الحنطة تنمو الى هذا الحجم •

فأمر الملك أن يحضر أحد الفلاحين من الطاعنين في السن بين يديه • وجد الخدم مثل هذا الرجل وأتوا به الى الملك • كان مسنا محني الظهر، شاحبا شحوب الموتى، أدرد (غير ذي اسنان) • استطاع متوكئا على عكازتين أن يتقدم مترنحا في حضرة الملك •

عرض الملك عليه الحبة ، ولكن الشيخ لم يستطع أن يراها الا بالكَدّ ، ولكنه تناولها وتحسسها بيديه • وسأله الملك قائلاً:

ـ أيمكنك أيها الشيخ أن تخبرنا أين زرعت مثل هذه الحبة ؟ هل اشتريت يوما مثل هذه الحنطة او زرعت شبيهها بها في حقلك ؟ كان الشيخ في أذنيه وقر • لم يكد يسمع ما قال الملك ولكنه فهم بصعوبة بالغة •

فاجاب اخيرا : لا ! لم أزرع ولم أحصد قط مثلها في حقل من حقولي ولم أشتر مثلها في يوم من الايام • عندما كنا نشتري الحبوب ، كانت الحنطة صغيرة الحجم كما هي اليوم • ولكن يمكنكم أن تسألوا والدي • لعله سمع أين كانت تزرع مثل هذه الحنطة ؟ فارسل الملك في طلب والد الشيخ ووجده وأحضروه بين يدي الملك • جاء يمشي على عكازة وعرض الملك الحبة عليه • والقى الشيخ عليها نظرة فاحصة فقد كان مايزال قادرا على الرؤية • وسأله الملك •

ـ اتستطيع أن تخبرنا ، ايها الشيخ ، أين كانت تزرع مثل هذه

الحنطة ؟ هل اشتريت أو زرعت يوما حنطة شبيهة بهـا في حقولـك ؟

وسمع الشيخ أفضل من ابنه على الرغم من ثقل في سمعه .

وقال : لا ، لم أزرع ولم أحصد قط حنطة مثل هذه الحنطة في حقلي اما الشراء ، فانني لم أشتر شيئا لان المال في زماني لـم يكن مستعملا . وكان كل انسان يزرع حبوبه واذا دعت الحاجة فاننا نشارك بعضنا بعضا . ولا أدري أين كانت تزرع مثل هذه الحنطة . كانت حنطتنا اكبر وتعطي طحينا اكثر من حنطة هـذه الايام ، ولكنني لم أر شبيها بهذه قط ، على انني سمعت ابـي يقول ان الحنطة في زمانه كانت تنمو الى حجم اكبر وتعطي طحينا اكثر من حنطتنا . فالافضل لكم أن تسألوه :

فارسل الملك في طلب والد هذا الشيخ ، ووجـدوه أيضـا وأحضروه بين يدي الملك . ودخل يمشي طبيعيا من دون عكازة . وكان بصره صافيا وسمعه جيدا ، ويتكلم بوضوح ، وعرض الملك الحبة عليه فنظر الجد اليها وقلبها بيده .

وقال : مضى زمن طويل منذ ان رأيت مثـل هـذه الحنطـة الرائعة . ثم قضم منها قطعة وتذوقها واردف قوله : انها من النوع نفسـه .

فقال الملك : خبرني ، ايها الجد ، متى كانت تزرع مثل هـذه الحنطة وأين ؟ هل اشتريت أو زرعت حنطة شبيهة بها في حولك .

فاجاب الشيخ : كانت مثل هذه الحنطة تزرع في كل مكان في

زماني • وكنت أعيش على حنطة شبيهة بها في أيام شبابي وأطعم الاخرين منها • كنا نزرع ونحصد ونذرّي حنطة مثل هذه الحنطة •

وسأل الملك : أخبرني ايها الجد ، هل كنت تشتريها من أي مكان أم كنت تزرعها كلها أنت نفسك ؟

فابتسم الشيخ وأجاب : لم يقترف أحد في زماني مثل اثم بيع أو شراء الخبز ولم نكن نعرف شيئا عن المال • فكل انسان يملك كفايته من الحنطة •

وعاد الملك يسأله : اخبرني اذن ، ايها الجد ، اين كان حقلك وأين كنت تزرع مثل هذه الحنطة ؟

فاجاب الجد : كان حقلي في أرض الله • فاينما أحرث هو حقلي • وكانت الارض حرة لا يستطيع أحد أن يقول هي ملكي • الشيء الوحيد الذي يمكن للانسان أن يطلق عليه ملكه هو عمله •

فقال الملك : أجب على سؤالين آخرين • الاول هو : لماذا كانت الارض تغل مثل هذه الحنطة وتوقفت الان عن ذلك ؟ والثاني هو : لماذا يمشي حفيدك بعكازتين وولدك بواحدة وانت بلا شيء ؟ عيناك حادتان وأسنانك سليمة وكلامك واضح ولطيف الى الاذن • كيف حدثت هذه الاشياء ؟

فاجاب الشيخ : حصلت هذه الاشياء لان الناس كفّوا عن العيش بعملهم واعتمدوا على عمل غيرهم • كان الناس في القديم يعيشون كما يريد الله • كانوا يملكون ما هو حقهم ولا يطمعون بما ينتج الاخرون •

سنة (١٨٨٦) م

الابــن



(١)

ولد لفلاح فقير ابن . وفرح به وذهب الى جاره يطلب منه أن يكون عرّاباً للولد ، ولكن الجار رفض . فلم يعجبه أن يكون عرّاباً – أي يرعى تعميد – طفل رجل فقير . وسأل الفلاح جاراً اخر ولكنه رفض أيضا ، فذهب الاب الفقير الى كل بيت من بيوت القرية ولكنه لم يجد أحداً يرغب أن يكون عرّابا لابنه ، لذلك ذهب الى قرية اخرى ، وصادف في طريقه رجلاً أوقفه وقال :

– نهارك طيب ، أيها الرجل الطيب الى أين أنت ذاهب ؟

فقال الفلاح : رزقني الله طفلاً ليقرّ عيني في شبابي ويريحني في شيخوختي ويدعو لي بعد موتي ، ولكني فقير ولم يقبل أحد في قريتنا أن يكون عرّابا له ، لذا تراني في طريقي للبحث عن عرّاب له

لذا تراني في طريقي للبحث عن عراب في مكان آخر .

فقال الغريب : دعني اكن عرّاباً .

فرح الفلاح وشكره ولكنه أردف قائلاً :

– ومن ساطلب أن تكون عرّابة له ؟

اجاب الغريب : اذهب الى المدينة . سوف تجد في الميدا نبيتا

حجريا في مقدمته نوافذ حانوت . ستجد في المدخل التاجر الذي يملكه . اطلب اليه أن يدع ابنته لتكون عرّابة لطفلك .

تــردد الفــلاح .

وقال : كيف لي أن اسأل تاجراً غنياً ؟ سوف يحتقرني ولــن يدع ابنته تأتي .

فقال الغريب : لا تقلق بشأن ذلــك . اذهب واطلب . هيىء كل شيء غداً صباحاً وسوف أحضر الى اجراء المراسيم .

عاد الفلاح الفقير الى البيت ثم ذهب على الحصان الى المدينة ليرى التاجر . وما كاد يدخل بحصانه الى الفناء حتى خرج التاجر نفسه . وقال : ماذا تريد ؟

فقال الفلاح : سيدي ، أنت ترى ان الله رزقني ابناً ليقــرّ عيني في شبابي ويريحني في شيخوختي ويدعو لي بعد موتــي . فارجو ان تتلطف وتسمح لابنتك أن تكون عرّابة له .

فسأله التاجر : ومتى سيكون التعميد ؟

— غداً صباحاً .

— حسناً ، ارجع بسلام وستكون معك في القداس غداً صباحا .

أتت العرابة في اليوم التالي وكذلك العرّاب ، ولم يعرفوا من هو . ولم يروه مرة اخرى .

(٢)

كبر الطفل ليكون مصدر بهجة وسعادة لوالديه . كان قوياً محباً للعمل ، ذكيا ، مطيعا . وعندما بلغ العاشرة ادخله والــده المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة . تعلم في سنة ماتعلمه الاخرون في خمس سنوات . ولم يبق شيء يمكن تعليمه له .

واقبل عيد الفصح • وذهب الصبي ليرى عرّابنه ويلقي عليهما تحيـــة عيد الفصح •

وقال عندما عاد الى البيت : أبي وأمي ، أين يسكن عرّابي • فاني أود ان القي عليه تحية عيد الفصح أيضا •

فقال الاب : نحن لا نعرف شيئا عن عرّابــك ، يا ولـــدي العزيز • وكثيرا ماشعرنا بالاسف على ذلك • فلم نره منذ يـــوم تعميدك ولم يسمع به أحد أيضا • ولا نعرف أين يعيش أو حتى فيما اذا كان مايزال على قيد الحياة •

انحنى الصبي لوالديه وقال :

ــ أبي وأمي ، اسمحا لي أن اذهب وابحث عن عرّابي • يجب أن القاه واقدم له تحياتي في عيد الفصح •

فسمح له ابوه وامه أن يذهب • وانطلق الصبي ليجد عرّابه •

(٣)

غادر الصبي البيت وانطلق في الطريق العام • وظل يسير عدة ساعات وصادفه رجل غريب وقال له :

ــ نهارك سعيد أيها الولد ، الى أين أنت ذاهب •

فقال الولد : كنت قد ذهبت لرؤية عرّابتي لالقي عليها تحية عيد الفصح وعندما ذهبت الى البيت وسألت والديّ عن ســـكن عرّابي لكي اذهب والقيّ عليه تحيتي ايضـــا ، قالا لـــي انهمـــا لا يعرفانه • قالا انه غادر حالما انتهى تعميدي ولا يعرفـــان شيئا

عنه ولا حتى ما اذا كان مايـزال على قيـد الحياة • ولكني رغبت أن أرى عرّابي ، ولذا خرجت للبحث عنه •

عندئذ قال الغريب : أنا عرّابك •

ففرح الغلام بسماع ذلك • وبعد أن قبل عرابه ثلاث مـرات تحية لعيد الفصح ، سأله :

— أي طريق تسلك الان ، يا سيدي ؟ فاذا كنت ذاهبا بطريقنـا فارجو ان تأتي الى بيتنا ، ولكن اذا كنت ذاهبا الى البيت فسأذهب معـك •

أجابه العراب قائلا : لا وقت لدي الان أن احضر الى بيتكم• فعندي شغل في قرى عدة ، ولكني سأعود الى البيت غدا • تعـال وقابلني عندئذ •

— ولكن كيف أجدك ياعرّابي ؟

— اذا تركت البيت توجه نحو مشرق الشمس مباشرة ، سوف تصل غابـة ، واذا مشيت في الغابـة سوف تصل فرجـة • واذا وصلت الفرجة اجلس وارتح قليلا وتلفت حولك وانظر ماذا يحدث • ستجد في الطرف البعيد من الغابة حديقـة ، فيها بيت ذو سقف ذهبي • ذلك هو بيتي • تقـدم الى البـاب تجدني هناك بانتظار لقائك •

قال العراب ذلك واختفى عن نظر الصبي •

(٤)

فعل الولد ما أخبره به عرّابه • وسار شرقاً حتى وصل غابة ، دخلها ومشى فيها حتى بلغ فسحة من الارض رأى في وسطها شجرة صنوبر ، ربط الى احد اغصانها حبل يحمل قطعة ثقيلة من خشب البلوط وقد انتصب تحت هذه الخشبة حوض من الخشب مملوء بالعسل لم يكن الصبي يجد وقتاً للتساؤل لماذا وضع العسل هنالك ولماذا علقت الخشبة فوقه ، حتى سمع طقطقة وخشخشة في الغابة ، ورأى بعض الدببة تقترب : دبة يتبعها صغيرها وثلاثة دياسم (جراء الدبة) • كانت الدبة تتشمم الهواء وتسير نحو الحوض • يتبعها الصغار • ودست الام خطمها في العسل ونادت الجراء ان تفعل الشيء نفسه • وركضت تصعد وبدأت تأكل وعندما بدأت تأكل تأرجحت الخشبة التي حركتها الدبة جانبا برأسها فعادت ورفعت الصغار • ولما رأت الام ذلك دفعت الخشبة بيدها بعيدا بعيدا ، فتأرجحت مبتعدة وعادت أقوى ، ضاربة أحد الجراء على ظهره والاخر برأسه هرب الصغار يعوون من الالم ، وأمسكت الام بالخشبة وهي تهدر بيديها ورفعتها فوق رأسها وطوّحت بها • طارت الخشبة عاليا في الهواء وهجم أصغرهم الى الحوض ودس بوزه في العسل وأخذ يرضع بصخب• واقترب الثلاثة الاخرون ولكنهم لم يصلوا الحوض عندما عادت الخشبة طائرة وضربت الدب الرضيع برأسه وقتلته • زمجرت الام أعلى من ذي قبل وأمسكت الخشبة وطوحت بها بكل قوتها بعيدا عنها • طارت أعلى من الغصن الذي ربطت به ، فارتخى

الحبل . وعادت الام الى الحوض والصغار وراءهـا . طـارت الخشبة أعلى فاعلى ، ثم توقفت وبدأت تهبط . وكلما اقتربـت ازدادت سرعة ، واخيرا ، في أقصى سرعتها ، هشـمت رأس الام التي راحت تتدحرج ، وأرجلها تهتز ، ثم ماتت . وركض الدياسم الى الغابـة .

(٥)

راقب الصبي ذلك كله مندهشاً . ثم واصل سيره . وبعد أن ترك الغابة وصل حديقة واسعة ينتصب في وسطها قصر منيف ذو سقف ذهبي . وكان عرابه واقفا لدى الباب وهو يبتسم . رحب بالصبي وقاده في المدخل الى الحديقة . لم يحلم الصبي بمثل هـذا الجمال والبهجة التي تحيط به في ذلك المكان .

ثم قاده الرجل الى داخل القصر الذي كان أجمل وأبهـى في الداخل من الخارج . وصار يريه جميع الحجرات ، كل واحـدة أبهى وأروع من الاخرى حتى أتيا اخيرا الى باب مختوم .

وقال الرجل : أترى هذا الباب . انه غير مغلق ولكنه مختوم فقط . يمكن أن يفتح ولكنني أمنعك من أن تفتحه . ويمكنك أن تعيش هنا وتتجول حيث تشاء وتستمتع بكل مباهج المكان ، ولكن أمري الوحيد هو ــ لا تفتح هذا الباب ! واذا فتحته فتذكر مارأيت في الغابة قال له العراب ذلك وذهب . وبقي الولـد في القصـر، وكانت الحياة فيه بهية ، بهيجة جدا حتى ظنّ انه لم يمض في هذا المكان سوى ثلاث ساعات ، في حين قضى في الحقيقة ثلاثين سنة .

وعندما انقضت الثلاثون سنة صادف أن مرَّ الابن بالباب المختوم ذات يوم وتساءل ، لماذا منعه العراب من دخول تلك الحجرة .

وفكر في نفسه : سألقي نظرة وأرى ماذا فيها .

ثم دفع الباب ، فانهارت الاختام وفتح الباب . ودخل الابن فرأى بهوا أفخم واجمل من كل الابهاء الاخرى وفي وسطه عرش . وتساءل عن البهو برهة ، ثم صعد الدرجات وجلس على العرش . ولما استقر لاحظ صولجانا مسندا الى العرش وتناوله بيده . وما كاد يفعل ذلك حتى اختفت جدران البهو الاربعة بغتة . وتلفت الابن حوله ورأى العالم كله وماذا يفعل الناس فيه . نظر الى الامام ورأى البحر وعليه سفن تبحر . ونظر الى اليمين ورأى ، منازل اناس وثنيين . ونظر الى اليسار ورأى منازل اناس من غير الروس . وتلفت حوله ونظر الى الجهة الرابعة فرأى ناساً من الروس مثله .

وقال : سانظر وأرى ماذا يحدث في بيتنا وهل الحصاد جيد.

ونظر الى حقول أبيه فرأى حزماً في اكداس . وراح يعدها ليرى هل كانت الحنطة كثيرة ، فلاحظ فلاحا يسوق عربة . كان الوقت ليلاً . وظن الابن ان اباه كان آتياً الى الحبوب ليلاً . ولكنه عندما نظر رأى (فاسيلي كودريشوف) اللص يسوق العربة الى الحقل ويبدأ بتحميل الرزم في العربة . أغضب ذلك الابن فنادى :

ـــ ابتِ ، رزم الحصاد تسرق من حقلنا !

استيقظ أبوه الذي كان نائماً في المرعى الليلي مع الخيول ٠ وقال : حلمت ان رزم الحصاد تسرق ٠ سأركب وأرى ٠ ركب حصانا واتجه الى الحقل ٠ ولما وجد فاسيلي هناك ، نادى بقية الفلاحين ليساعدوه ، وضربوا فاسيلي وقيدوه واخذوه الى السجن ٠

ثم نظر الابن الى المدينة حيث تعيش عرابته ٠ رأى انها متزوجة من تاجر ٠ وكانت نائمة ونهض زوجها وذهب الى عشيقته ٠ فهتف الابن اليها ٠

ـ انهضي ، انهضي ! زوجك يسلك مسلكاً شريرا ٠

وثبت الزوجة ولبست ثيابها ووجدت مكان زوجها واخزته وضربت عشيقته وطردته ٠

ثم نظر الابن الى أمه ورآها نائمة في كوخها وقد تسلل لص الى الكوخ وصار يكسر الصندوق الذي حفظت فيه أشياءها ٠ استيقظت امه وصرخت ، كان اللص يمسك فاسا بيده ، رفعها فوق رأسه ليقتلها ٠

لم يتمالك الابن نفسه عن التطويح بالصولجان نحو اللص وأصابه في صدغه وقتله من فوره ٠

(٦)

ما ان قتل الابن اللص حتى اغلقت الجدران وعاد البهو كما كان سابقا ٠

فتح الباب ودخل العراب وتقدم الى الابن وأخذه من يده وأنزله عن العرش ٠

وقال : لم تطع أمري . اقترفت خطأ عندما فتحت الباب الممنوع وخطأ ثانيا عندما اعتليت العرش وتناولت صولجاني بيديك . واقترفت خطأ ثالثا زاد الشرور في الدنيا . لو جلست ساعة اخرى في هذا المكان لحطمت نصف البشرية .

ثم عاد العراب يقود الابن الى العرش وتناول الصولجان بيده ، وتهاوت الجدران مرة اخرى وبانت الاشياء جميعاً للنظر. وقال العراب :

ـ انظر ماذا فعلت بأبيك . وقد مضت على فاسيلي سنة في السجن وخرج الان وقد تعلم كل أنواع الشرور . وفسد ولا سبيل الى اصلاحه . انظر ، لقد سرق حصانين من خيل ابيك، وها هو الان يشعل النار في مخزن الغلة . لقد جلبت هذا كله على ابيك .

رأى الابن مخزن أبيه يحترق ملتهبا ، ولكن العراب حجب المنظر عنه وطلب منه أن ينظر الى جهة اخرى .

وقال : هذا زوج عرابتك . مضت سنة على تركه زوجته ، وهو يجري وراء نساء اخريات . وقد هوت عشيقته الى ادنى حضيض . ودفع الحزن زوجته الى الشرب . هذا ما فعلت بعرابتك . وحجب العراب ذلك أيضا ، وأراه بيت أبيه . رأى امه تبكي آثامها وتقول نادمة :

ـ ـ لو أن اللص قتلني في تلك الليلة لكان ذلك أفضل ، ولما أثمت اثما كبيرا .

فقال العراب : هذا ما فعلت بامك .

وحجب ذلك أيضا . وأشار الى الاسفل فرأى الابن حارسي سجن يمسكان باللص أمام أحد السجون .

فقال العراب : قتل هذا الرجل عشرة رجال . وكان من الممكن ان يكفر عن ذنوبه بارادته ولكن بقتله تحملت أنت ذنوبه . والان عليك أن تجيب على جميع تلك الذنوب . هذا ما فعلته بنفسك . دفعت الدبة الخشبة جانبا مرة واحدة ، فازعجت صغارها ، ودفعتها ثانية فقتلت رضيعها . ودفعتها ثانية فقتلت رضيعها . ودفعتها ثالثة ، فقتلت نفسها . أنت فعلت الشيء نفسه . وهانذا اعطيك ثلاثين سنة لتطوف في الدنيا وتكفر عن ذنوب اللص . واذا لم تكفر عن ذنوبه ، فعليك أن تحل محله .

فسأل الابن : وكيف لي أن اكفر عن ذنوبه ؟

أجاب العراب : اذا خلصت العالم من الشرور بقدر ماجلبت اليه فانك تكون قد كفرت عن آثامك وآثام اللص .

فقال الابن : وكيف استطيع تحطيم الشر في الدنيا ؟

أجابه العراب : اخرج وتوجه نحو مشرق الشمس ، ستتصل بعد حين الى حقل فيه بعض الرجال . لاحظ ماذا يفعلون وعلمهم ماتعرف ، ثم واصل سيرك وامعن النظر في ما ترى . ستتصل في اليوم الرابع الى غابة ، في وسطها صومعة ، يعيش في الصومعة ناسك اخبره بكل ما حدث . سوف يعلمك ماذا فعلت كل ما قال لك ، ستكون قد كفرت عن ذنوبك وذنوب اللص .

وبعد أن قال له العراب ذلك ، قاده الى الباب وأخرجه .

(٧)

سار الابن في طريقه وصار يفكر وهو يمشي :

وكيف لي أن أمحو الشرور في هذه الدنيا ؟ لا يمحى الشر الا بالتخلص من الاشرار ، وحبسهم في سجن أو قتلهم • فكيف لي اذن أن أقضي على الشر من دون ان اتحمل ذنوب الاخرين •

تأمل الابن ذلك طويلا ولكنه لم يتوصل الى نتيجة • وواصل سيره حتى بلغ حقلاً حيث تنمو الحنطة نموا كثيفا وجيدا وقد آن وقت حصادها • رأى الابن عجلا صغيرا يدخل حقل الحنطة• ورآه بعض الرجال القريبين ، وركبوا خيولهم وطاردوه ذهابا وايابا في حقل الحنطة وكلما كاد العجل يخرج من الحقل ، جرى اليه أحدهم على حصانه وأجفله فيعود أدراجه ، فيعدون وراءه جميعا وهم يسحقون الحنطة ، ووقفت على الدرب امرأة تبكي •

وتقول : سوف يقتلون عجلي بمطاردتهم •

فقال الابن للفلاحين : ماذا انتم فاعلون ؟ اخرجوا من حقل الحنطة • جميعكم ، ودعوا المرأة تنادي عجلها •

فعل الرجال ذلك • وتقدمت المرأة الى حافة الحقل ونادت العجل : « تعال ، ايها الاصفر ، تعال ! » ونصب العجل اذنيه واصغى قليلا ثم جرى نحو المرأة من تلقاء نفسه ودس رأسه في تنورتها وكاد يلقيها أرضا • فرح الرجل وفرحت المرأة وفرح العجل الصغير أيضا •

وواصل الابن سيره وفكر في نفسه :

— هانذا أرى الشر ينشر الشر . وكلما حاول الناس طرد الشر سارعوا في نموه . ويبدو أن الشر لا يمكـن القضاء عليه بالشر . ولكن بأية طريقة يمكن القضاء عليه ، لست أدري . أطاع العجل صاحبته وسار كل شيء على مايرام . ولكن لو لم يطعها ، كيف يمكن لنا ان نخرج العجل من الحقل ؟

راح الابن يتأمل ثانية ، ولكنه لم يصل الى نتيجة . وواصل سيره .

(٨)

ظل يمشي حتى وصل قرية . وتوقف في الطرف الاقصى منها . واستأذن بالمبيت . كانت ربـة البيت وحـدها ، تنظف المنزل . وادخلته . فدخل الابن واتخذ مجلسه على التنور الحجري . وراح يراقب ماذا كانت المرأة تفعل . رآها تنتهي من كنس الحجرة وبدأت تنظف المنضدة حكا . وبعد ان انتهت من ذلك ، اخذت تمسـح المنضدة بقطعة قماش وسخة . مسحتها من طرف الى الطرف آخر — ولكنها لم تنظف . فقد تركت الخرقة الملوثة طبقة من الوسخ . ثم مسحتها باتجاه معاكس . اختفت طبقات الوسخ الاولى وظهرت غيرها في محلها . ثم راحت تمسح من طرف الى طرف آخر وحدث الشيء نفسه . فقد لوثت الخرقة الوسخة المنضدة . فعندما تمسح طبقة تترك اخرى . راقب الابن ذلك مدة وهو صامت ثم قال :

— ماذا تفعلين اينها المرأة ؟

— الا ترى اني انظف استعدادا للعيد ولكنني لا استطيع تنظيف المنضدة • لقد تعبت من ذلك •

فقال الابن : عليك ان تشطفي الخرقة قبل ان تمسحي المنضدة بها • وفعلت المرأة ما اشار عليها الابن وسرعان ما نظفت المنضدة• وقالت : شكرا لك على نصيحتك •

استأذن المرأة في الصباح وواصل سيره • وبعد ان مشى مدة وصل حافة غابة ، حيث رأى بعض الفلاحين يصنعون اطارات عجلات من خشب منحن • ولما اقترب منهم رأى انهم يدورون ويدورون ولكنهم لايستطيعون ان يحنوا الخشب •

وقف ونظر ولاحظ ان القالب الذي تشد فيه قطعة الخشب لم يكن ثابتا فقد كان يدور عندما يدور الرجال حوله • فقال الابن :

— ماذا تفعلون ايها الاصدقاء ؟

— الا ترى ، اننا نصنع اطارات عجلات • لقد نجرنا الخشب مرتين وقد انهكنا ولكن الخشب لاينحني •

فقال الابن : يجب ان تثبتوا القالب ايها الاصدقاء والا فانه يدور عندما تدورون •

اخذ الفلاحون بنصيحته وثبتوا القالب فسار العمل على مايرام• أمضى الابن الليلة معهم ثم واصل سيره • وظل يمشي طوال النهار والليل ووجد قبيل الفجر بعض تجار الماشية مخيمين لقضاء الليل فنام الى جنبهم • ورأى انهم ربطوا جميع ماشيتهم وكانوا يحاولون اشعال النار • اخذوا بعض الاغصان اليابسة وأشعلوها ولكن قبل أن تستكمل الاغصان اشتعالها كانوا يخمدونها بخشب

رطب فتنطفيء • ثم يعود تجار الماشية يجلبون مزيدا من الحطب اليابس ويشعلونه ثم يضعون عليه حطبا رطبا فتنطفيء النار مرة اخرى • ويظلون يجهدون انفسهم بذلك مدة طويلة ولكنهم لا يستطيعون أن يجعلوا النار تشتعل • فقال الابن :

— لا تستعجلوا بوضع الحطب الرطب • دعوا الحطب اليابس يشتعل بنحو جيد قبل أن تضعوا شيئا عليه • فاذا اشتد لهيب النار تستطيعون وضع ماتشاءون عليها •

وتبع التجار نصيحته • وجعلوا النار تشتعل بقوة قبل ان يضيفوا حطبا جديدا يضطرم فتكون نارا هادرة •

بقي الابن معهم قليلا ثم واصل سيره • وظل يمشي وراح يسائل نفسه عن معنى الاشياء الثلاثة التي رآها ، ولكن لم يستطع أن يفهم شيئا •

(٩)

سار الابن طوال النهار ووصل عند المساء الى غابة اخرى حيث وجد صومعة ناسك ، وطرق عليها •

فسأل صوت من الداخل : من هذا ؟

اجاب الابن : مذنب عظيم • لابد أن اكفر عن ذنب شخص اخر وعن ذنبي أيضا •

خرج الناسك لما سمع ذلك •

— ما الذنوب التي عليك تحملها عن غيرك ؟

حدثه الابن بكل شيء : عن عرابه وعن الدبـة ودياسمهـا ، والعرش في البهو المختوم ، وأوامر عرابه اليه ، وعـن الفلاحين الذين كانوا يسحقون المنطقة بخيولهم والعجل الذي خرج راكضا عندما نادته صاحبته •

وقال : رأيت أن المرء لا يمكنه أن يقضي على الشر بالشر ، ولكنني لا أفهم كيف يمكن القضاء عليه • علمني كيف عمل ذلك •

أجابه الناسك قائلا : أخبرني ماذا رأيت في طريقك غير ذلك •

اخبره الابن عن المرأة التي تنظف المائدة والرجـال الذيـن يصنعون اطارات عجلات وتجار الماشية الذين يشعلون النار •

أصغى الناسك الى ذلك كله وعاد الى صومعته وأخرج فأسا عتيقة مثلمة •

وقال : تعال معي •

وعندما وصلا الى بعض الطريق آشار الناسك الى شجرة •

وقال : اقطعها •

قطع الابن الشجرة •

وقال الناسك : اقطعها الآن الى ثلاثة أقسام •

قطع الابن الشجرة الى ثلاثة أقسام ثم عـاد الناسك الـى صومعته • واخرج بعض العصي المشتعلة •

وقال : احرق الاخشاب الثلاث •

اضرم الابن نارا وحرق قطع الشجرة الثـلاث حتى أصبحت ثلاث قطع من الفحم •

ـ والآن ازرعها الى نصفها في الارض ، هكذا •

فعل الابن كما طلب اليه .

— أترى ذلك النهر عند اسفل الجبل . اجلب الماء منه بفمك واسقِ هذه الجَدَعَات . اسق هذه الجدعة كما علمت المرأة ، وهذه كما علمت صانعي العجلات ، وهذه كما علمت تجار الماشية . واذا نبتت جذور لهذه الجدمات ، وخرجت شجرات تفاح من هذه الجدعات المتفحمة ، عندئذ تعرف كيف نقضي على الشر في الناس ، وتكون قد كفرت عن ذنوبك جميعا .

قال الناسك ذلك وعاد الى صومعته . فتأمل الابن طويلاً ، ولكنه لم يستطع ان يفهم ما قصد الناسك اليه ، على انه شرع يعمل ما قيل له .

(١٠)

ذهب الابن الى النهر وملأ فمه بالماء وعاد وأفرغه على احدى الجدعات المتفحمة . فعل ذلك مرارا وتكرارا وسقى الجدعات الثلاث جميعا . وعندما جاع وتعب ، ذهب الى الصومعة وطلب شيئا من الطعام من الناسك . فتح الباب ووجد الناسك الشيخ قد استلقى ميتا على مصطبة . بحث الابن عن طعام ووجد شيئا من خبز يابس واكل قليلا منه . ثم تناول مسحاة وبدأ يحفر قبرا للناسك . وحمل في أثناء الليل ماء سقى به الجدعات . وفي النهار حفر القبر . وما كاد يكمل القبر ويوشك أن يدفن الجثة حتى أقبل بعض الناس من القرية يجلبون طعاما للناسك .

سمع الناس أن الناسك مات وانه القى بركاته على الابن وتركه في محله • فدفنوا الشيخ وأعطوا الخبز الذي جلبوه الى الابن وعاهدوا ان يجلبوا له مزيدا منه ، ثم ذهبوا •

بقي الابن في مكان الشيخ • وظل يعيش فيه ويأكل الخبز الذي يجلبه الناس له ويعمل ما أمره أن يقوم به : يحمل الماء من النهر بفمه ويسقي الجدعات المحروقة •

عاش على هذا النحو سنة ، وزاره كثير من الناس • وذاع صيته الى الافاق وقيل أن رجلا تقيا يعيش في الغابة ويجلب الماء بفمه من أسفل الجبل ليسقي جدعات محروقة لخلاص روحه •

وتقاطر الناس لرؤيته ، وجاء الاغنياء على الخيول جالبين له هدايا ولكنه كان يحتفظ لنفسه بالحاجات الضرورية فقط ويهب الباقي الى الفقـــراء •

وهكذا عاش الابن : يحمل الماء بفمه ويسقي الجدعات نصف نهاره ويرتاح ويستقبل الناس في النصف الآخر • وصار يفكر أن هذه هي الطريقة التي يجب اتباعها في الحياة لكي يقضـــي علـــى الشر ويكفر عن ذنوبه •

أمضى سنتين على هذا النحو ولم يترك الجدعات يوما واحدا بلا سقي • ومع ذلك لم تخرج اية واحدة شطؤها أي أول ورقها وفروعها •

سمع ذات يوم وهو جالس في صومعته رجلا يمر على حصانه وهو يغني • خرج الابن ليرى أي نوع من الرجال هـــذا الذي

سمع • فرأى شابا قويا ، حسن الملبس ، يمتطي صـهوة جـواد مطهم ، فاخر السرج •

أوقفه الابن وسأله من يكون وأين يذهب •

أجاب الرجل وهو يشد العنان : أنا لص • اركب فرسي في الطريق العام ، واقتل الناس • وكلما قتلت مزيدا مـن الناس ، ازددت مرحا في الغناء •

ذعر الابن وراح يفكر :

— كيف يمكن للشر أن يقضي عليه في مثل هذا الرجل ؟ مـن اليسير الكلام الى اولئك الذين يقومون الي" مـن تلقـاء أنفسهم ويعترفون بذنوبهم • ولكن هذا الرجل يتباهى بالشـر الذي يقترفـه •

فلم يقل له شيئا وتركه وهو يفكر : ماذا أنا فاعل الآن ؟ قد يعتاد هذا اللص التجـوال في هـذه الارجاء ويبث الرعب بين الناس ، وسوف يكفون عن المجيء الي" ، وفي ذلك خسارة لهم ، ولا أعرف كيف اعيش •

فرجع الابن وقال للص •

— يأتي الناس الي" ، لا يتباهون بذنوبهم بـل نادمين طالبـين المغفرة ، فتب عن ذنوبك ، اذا كنت تخشى الله • واذا كان قلبك خاليا من التوبة ، فاغرب عني ولا تعد الى هنا مـرة اخرى • ولا تكدرني ولا ترهب الناس وتبعدهم عني • واذا لم تعر لذلك اذنا صاغية فان الله سيعاقبك •

ضحك اللص •

وقال : انا لا اخشى الله ولن اصغى اليك • فانت لست سيدي • انت تعيش بتقواك وأنا اعيش بلصوصيتي • ونحن جميعا يجب أن نعيش • يمكنك ان تعلم العجائز اللواتي يأتين اليك ، ولكنك لا تملك شيئا تعلمني اياه • وبما انك ذكرتني بالله ، فسأقتل رجلين آخرين غدا • ويمكن أن اقتلك ولكني لا اريد ان الوث يدي الان • تنبه في المستقبل أن تبتعد عن طريقي !

ما ان اطلق اللص تهديده ذلك ، حتى ابتعد راكبا حصانه • ولم يعد مرة اخرى ، فعاش الابن في هدوء كالسابق ثماني سنين اخرى •

سقى الابن جدعاته ذات يوم وبعد عودته الى صومعته جلس يرتاح ويراقب الدرب متسائلا هل سيأتي احد على الفور • ولكن لم يأت أحد قط في ذلك اليوم • وجلس وحيدا حتى المساء ، يشعر بالوحدة والملل وخطرت بباله حياته الماضية • تذكر كيف وبخه اللص على عيشه اعتمادا على تقواه ، ففكر مليا في طريقته في الحياة • « أنا لا أعيش كما أمرني الناسك أن أعيش• لقد فرض الناسك علي عقوبة ذاتية تكفيرا عن خطيئتي • ولقد جعلت من ذلك عيشا وشهرة وقد أغراني ذلك واني اشعر الان بالملل اذا لم يأت الناس الي ، واذا جاءوا فاني ابتهج بثنائهم على تقواي • ليست هذه هي الطريقة الصحيحة للحياة • لقد أصابني الضلال بحب الثناء • ولم اكفر عن ذنوبي الماضية بل أضفت اليها ذنوبا جديدة • سأذهب الى جهة اخرى من الغابة حيث لا يجدني

الناس وسأعيش لاكفر عن ذنوبي السابقة ولا اقتـرف ذنوبـا جديـدة .

وبعد أن توصل الابن الى هذا القرار ملأ كيساً بخبز يابس واخذ مسحاة معه وغادر صومعته وتوجه الى وهدة يعرفها في بقعـة منعزلة حيث يستطيع أن يحفر لنفسه كهفاً ويختفي عن الناس .

وبينما كان سائرا يحمل كيسه ومسحاته رأى اللص متوجهـا نحوه على حصانه . فارتعب الابن وبدأ يركض مبتعدا ولكـن اللص لحق به سأله اللص : الى أين أنت ذاهب ؟

اخبره الابن انه يرغب في الابتعاد عن الناس ويعيش في مكان لا يأتي الناس اليه . دُهش اللص لذلك .

فسأله : وعلى أي شيء تعيش اذا لم يأت الناس اليك ؟

لم يفكر الابن بذلك ولكن سؤال اللص ذكـره ان الطعـام ضروري ولا بد منـه .

فاجاب : على ما ينعم الله به عليّ .

لم يقل اللص شيئا ، وسار مبتعدا على حصانـه .

وقال في نفسه :

— لِمَ لمْ اقل له شيئا عن طريقته في الحياة ؟ لعله يندم الان . يبدو اليوم في حال أرق ولم يهدد بقتلي .

ثم هتف الى اللص :

— مازال عليك أن تبدي الندم على ذنوبك . ولا خلاص لك من ربـك .

أدار اللص الحصان وسحب خنجرا من حزامه وهدد الناسك به • ارتعب الرجل وهرب في الغابة •

ولم يتبعه اللص ولكنه صاح :

ـ تركتك مرتين أيها الشيخ ولكنني سأقتلك في المرة القادمة اذا اعترضت طريقي •

قال ذلك وسار مبتعدا على فرسه • وفي المساء عندما ذهب الابن ليسقي الجدعات ـ كانت احداها قد أورقت ! ونمت منها شجرة تفاح صغيرة •

١١

وعاش الابن وحيدا مختفيا عن الناس جميعا • وعندما نفذ كل مالديه من خبز فكر في نفسه : لابد أن أخرج وأبحث عن بعض النباتات لآكلها ولم يكد يبتعد كثيرا حتى رأى كيسا من الخبز اليابس معلقا على غصن • أنزله ، وعاش على ما فيه •

وعندما أكل مافيه وجد كيسا آخر على الغصن نفسه • وهكذا عاش ولا هم له سوى خوفه من اللص • وكان يختفي كلما سمع اللص ماراً ويفكر : لعله يقتلني قبل أن اكفر عن ذنوبي •

عاش على هذا النحو عشر سنوات اخرى • واستمرت شجرة التفاح الاولى على النمو ولكن الاثنتين ظلتا جدعتين كما كانتا •

نهض الابن ذات يوم مبكرا وذهب الى عمله • وعندما اكمل

ترطيب الارض حول الجدعات ، تعب وجلس ليرتـاح • وراح يفكـر :

ــ لقد اذنبت وصرت اخشى المـوت • ولعلهـا ارادة الله ان اتخلص مـن ذنوبي بالموت •

وما كادت هذه الفكرة تجول في خاطره حتى سمـع اللص مقتربا على حصانه وهو يسب • وفكر الابـن عندما سمع ذلك :

ــ لن يصيبني من أحد شر أو خير الا ما شاء الله •

وذهب لمواجهة اللص الذي رأى انه لم يكن وحيدا ، بل كان يردف خلفه على السرج رجلاً اخر مكمماً ــ مسدود الفم بشيء ــ مقيد اليدين والرجلين • لم يفعل الرجل شيئا ، ولكـن اللص كان يشتمه شتما مقذعاً ويؤذيه • فذهب الابن ووقف أمام الحصـان •

وسأله : الى اين تأخذ الرجل ؟

اجاب اللص : الى الغابة • انه ابن تاجر لم يشأ أن يخبرنـي اين اخفى والده نقوده • سوف أجلده حتى يخبرني •

واستحث اللص حصانه ولكن الابن امسـك بلجامه ولـم يسمح له بالمرور • وقال : دع الرجل هذا يذهب في سبيله !

غضب اللص ورفع يده ليضربه وقال :

ــ اتريد أن تتذوق طعم ما ساعطي هذا الرجل ؟ ألم اقل لـك اني ساقتلك ؟ فدعني اذهب !

ولم يخف الابـن •

وقال : لن تذهب . انا لا أخشاك ولا اخشى احدا غير الله ، وقد شاء ان لا ادعك تمر ، الا بعد ان تطلق سراح الرجل !

عبس اللص وامتشق خنجره ، وقطع الحبال التي ربط بها ابن التاجر واطلق سراحه .

وقال : اذهبا كلاكما . واحذرا ان تقفا في طريقي مرة اخرى .

وثب ابن التاجر وهرب . وكان اللص يوشك أن يطارده ، ولكن الابن أوقفه مرة اخرى وكلمه مرة اخرى ان يترك حياة الشرور . سمعه اللص حتى النهاية صامتا ، ثم سار راكبا من دون أن يقول كلمة .

وذهب الابن في صباح اليوم التالي ليسقي جدعاته . ويا للفرحة ها هي الجدعة الثانية مورقة . شجرة تفاح ثانية فتية بدأت تنمو .

(١٢)

مضت عشرة سنوات اخرى . وكان الابن جالسا ذات يوم بهدوء لا يرغب في شيء ولا يخشى من شيء ، بقلب عامر بالبهجة .

وفكر ما أعظم البركات التي يمطرها على البشر ، ولكن ما اشد عذابهم لانفسهم ! فما الذي يمنعهم من العيش بسعادة ؟

وتذكر جميع الشرور في الناس والمتاعب التي يجلبونها لانفسهم ، فامتلأ قلبه شفقة .

وقال لنفسه : من الخطأ ان اعيش على هذا النحو . يجب ان اذهب واعلم الاخرين ما تعلمت .

ولم يكد يفكر في ذلك حتى سمع اللص يقترب • وجعله يقترب وراح يفكـــر :

— من العبث الحديث اليه ، فلن يفهم •

كانت تلك فكرته الاولى ، ولكنه غير رأيه وخرج الى الطريق ورأى اللص مكتئبا ، على حصانه مطرقا • نظر الابن اليه وأشفق عليه وركض نحوه ووضع يده على ركبته •

وقال : يا اخي ياعزيزي ! ارحم نفسك ولا تيأس من روح الله التي تعمر نفسك • فانت تتعذب وتعذب غيرك وتراكم العـذاب بعضه فوق بعض لقابل الايام • ولكن الله غفـــور رحيم وسـعت رحمته كل شيء • فلا تحطم نفسك وغير ّ حياتك !

عبَس وولى وقال : اتركني وحدي !

ولكن الابن تمسك به اقوى وبدأ يبكي •

ففتح اللص عينيه ونظر الى الابن طويلا ونزل عن الحصـــان وجثا على ركبتيه عند قدمي الرجل •

وقال : لقد غلبتني ايها الشيخ• قاومتك عشرين سنة• ولكنك الان غلبتني • فافعل بي ما تشاء فاني لم أعد املك قـــوة علـــى نفسي • وحين ابتعدت عن الناس ، بدأت افكر بكلماتك لانـــي رأيتك لم تطلب شيئا لنفسك • وصرت منذ ذلك اليوم اجلـــب الطعام واعلقه على الشجرة •

ثم تذكر الابن ان المرأة لم تجعل المائدة نظيفة الا بعــد أن شطفت خرقتها • وبالطريقة نفسها ، استطاع ان ينظف قلـــوب الاخرين بعدما كف عن الاهتمام بنفسه ونظف قلبه •

وواصل اللص كلامه •

ــ تبدل قلبي عندما رأيت انك لا تخاف الموت •

ثم تذكر الابن ان صانعي العجلات لم يستطيعوا ثني الاطارات حتى ثبتوا القالب • فلم يستطع أن يروض قلب هذا الرجل الصعب المراس حتى القى الخوف من الموت بعيدا وجعل حياته راسخة في حب الله •

واستمر اللص في قوله : ولكن قلبي لم يرق حتى اشفقت وبكيت عليّ •

ابتهج الابن بقوله ذلك وقاد اللص الى مكان الجدعات • ولما وصلا وجدا ان شجرة تفاح قد أخذت تورق من الجدعة الثالثة • وتذكر الابن أن تجار الماشية لم يستطيعوا اشعال الحطب الرطب حتى اضطرمت النار • فلم يتألق قلب غيره حتى توهج قلبه •

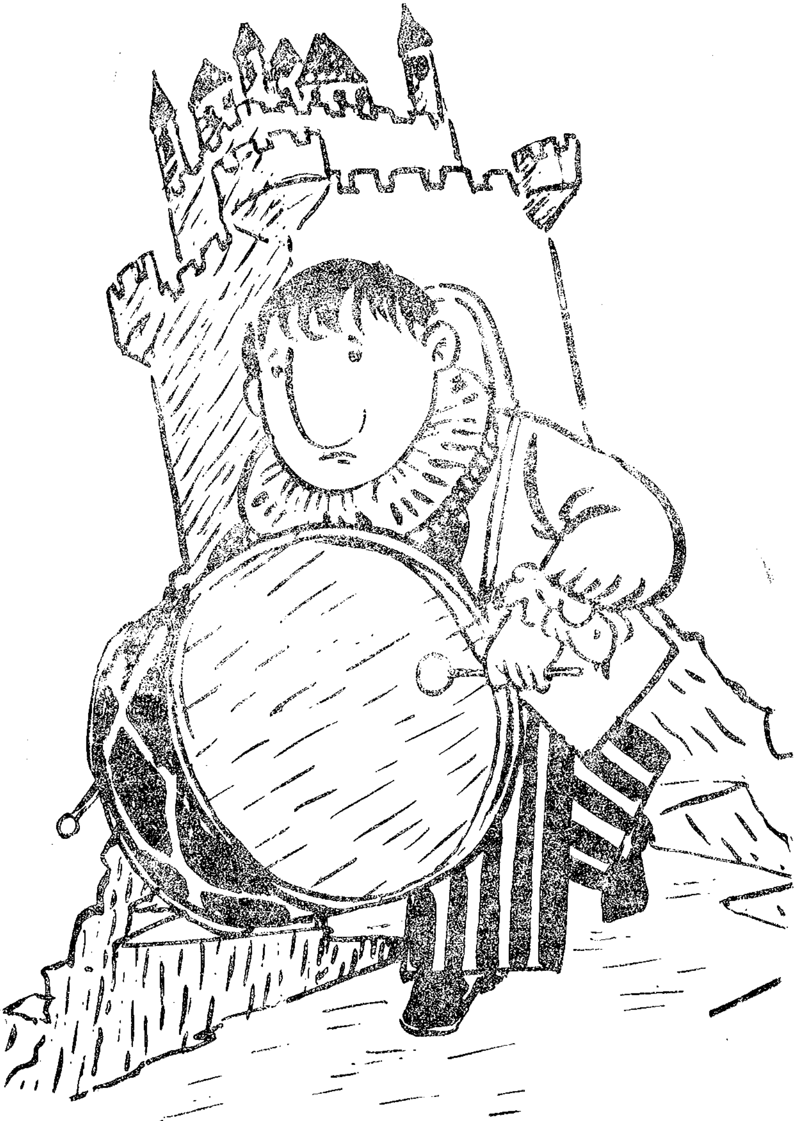
وفرح الابن فرحا عظيما بعد أن كفر عن ذنوبه أخيرا •

وأخبر اللص بذلك كله ثم مات • ودفنه اللص • وعاش كما أوصاه الابن ان يعلم الاخرين ما علمه •

سنة (١٨٨٦) م

الطبل القارع

(حكاية شعبية شائعة في منطقة النوبة)



كان (اميليان) عاملا يشتغل لدى رجل • عبر المروج ذات يوم في طريقه الى العمل • وكاد يطأ ضفدعه وثبت أمامه ، ولكنه استطاع تجنب ذلك • وسمع على حين غرة صوتا يناديه من الخلف •

تلفت (اميليان) ورأى فتاة جميلة قالت له : لماذا لا تتزوج ياأميليان ؟ فقال : كيف لي أن اتزوج يا فتاتي وأنا لا املك سوى الثياب التي على بدني ، ولا شيء غيرها ، ولا تقبلني واحدة زوجا لها •

قالت: اتخذني زوجة •

اعجب (اميليان) بالفتاة وقال : يسرني ذلك ولكن كيف يمكن أن نعيش ؟ واين ؟

فقالت الفتاة : لا تتعب نفسك بذلك • فما على المرء الا أن يعمل اكثر وينام أقل ويستطيع أن يحصل على ملابسه وطعامه في أي مكان •

قال اميليان : حسنا اذن ، لنتزوج • أين سنذهب ؟

ـ لنذهب الى المدينة •

فذهب (اميليان) والفتاة الى المدينة • واخذته الى كوخ صغير في طرف المدينة حيث تزوجا وأصبح لهما (نزل) يديرانه •

وكان الملك ذات يوم مارا خلال المدينة ومر بكوخ اميليان . وخرجت زوجة اميليان لترى الملك . وحين رآها الملك ذهل .

فقال : من اين اتت مثل هذه الجميلة ؟

وأوقف عربته واستدعى زوجة اميليان وسألها : من أنــت ؟ فقالت : أنا زوجة الفلاح اميليان .

قال الملك : لماذا تتزوجين فلاحا وأنت بمثل هــذا الجمال . ينبغي أن تكوني ملكة !

فقالت : شكرا لك على كلماتك الرقيقة ولكن فلاحا يكفيني زوجاً . تحدث الملك اليها برهة ثم واصل رحلته . وعاد الى قصره ولم يكن بوسعه ان ينتزع زوجة الفلاح اميليان من فكره . لــم ينم بل ظل يفكر في كيفية الحصول عليها لنفسه . ولم يتوصــل الى طريقة لذلك ، فاستدعى خدمه وامرهم ان يجدو وسيلة .

قال خدم الملك : ليأمر مولانا بحضور (اميليان) الى القصر للعمل ، وسوف نرهقه بالعمل الشاق حتى يموت ويترك زوجته أرملة فتستطيع عندئذ أن تأخذها .

سمع الملك نصيحتهم وأمر بحضور (اميليان) الى القصــر ليشتغل عاملا وأن يعيش في القصر وزوجته معه .

جاء الرسل الى اميليان وبلغوه رسالة الملك . وقالت زوجته : اذهب يا اميليان واشتغل طوال النهار ولكن عد الى بيتك ليلاً .

فذهب (اميليان) وعندما وصل القصر ســأله كبير خــدم الملك :

ـــ لماذا أتيت وحدك من دون زوجتك •

أجابه اميليان : ولماذا أجرها في كل مكان • فهي لها بيت تعيش فيه •

واعطوه في قصر الملك عملا يكفي رجلين • وبدأ عمله وهو لا يأمل أن يتمه ، ولكن عندما جاء المساء ، كان العمل قد انجز كاملا • ورأى كبير الخدم انه أتم العمل ، أعد له اربعة أضعافه في في اليوم التالي •

عاد (اميليان) الى البيت ووجد كل شيء مرتبا ونظيفا ، كما وجد التنور ساخنا والعشاء مطبوخا وقد اعد • وجلست زوجته الى المنضدة تخيط وتنتظر عودته • وحيته ، واعدت المائدة وقدمت له الطعام والشراب • وبدأت تسأله عن عمله •

فقال : آه ! انه عمل شاق • انهم يكلفونني بمهمات فوق طاقتي ويريدون قتلي بالعمل •

فقالت : لا تخشَ العمل • ولا تنظر امامك أو خلفك لترى كم انجزت من العمل ، أو كم بقي منه ، بل واصل العمل وسيكون كل شيء على مايرام •

فاستلقى (اميليان) ونام • وخرج في صباح اليوم التالي للعمل واشتغل من دون ان يلتفت مرة واحدة • وعند المساء أكمل كل شيء • وعاد الى البيت قبل حلول الظلام •

وظلوا يزيدون عمل (اميليان) كل يوم ولكنه كان ينتهي منه قبل الاوان دائما ويعود الى الكوخ لينام • مر اسبوع ووجد خدم الملك انهم لا يستطيعون القضاء عليه بالعمل الشاق فحاولوا

اعطاه عملاً يتطلب المهارة ، ولكن ذلك لم يكن بذي نفع لهم . فقد كان يكمل كل ما عهدوا الى اميليان من امور تتطلب المهارة والبناء والتسقيف في الوقت المقرر ويعود الى زوجته ليلا . وهكذا مرّ اسبوع ثانٍ .

فاستدعى الملك خدمه وقال : أأطعمكم وانتم لا تعملون شيئا مرّ اسبوعان ولم أر انكم فعلتم شيئا . اردتم ارهاق اميليان بالعمل ولكني ارى من نوافذ قصري كيف يعود الى بيته كل مساء وهو يغني مرحا . اتحتالون علي ؟

وبدأ خدم الملك يقدمون المبررات قائلين : لقد بذلنا جهدنا لانهاكه بالعمل الشاق ، ولكن لا يشق عليه شيء . فكان ينتهي منه كأنه يكنسه بالمكنسة . فلم يرهقه شيء فاعددنا له أعمالاً تتطلب المهارة ، لم نكن نظن انه يجيد عملها ، غير انه أنجز كل شيء ، كان يتمه ولا يعلم احد كيف . فاما هو او زوجته يعرف شيئا من السحر الذي يعينه . لقد سئمنا منه ونرغب في ايجاد عمل لا يستطيع السيطرة عليه . فكرنا الان ان نطلب منه بناء كنيسة ضخمة في نهار واحد . فابعث الى (اميليان) واصدر الامر اليه ان يبني كنيسة أمام القصر في نهار واحد . واذا لم يفعل ذلك نقطع رأسه لعدم طاعته .

ارسل الملك الى (اميليان) وقال له : استمع الى أمري . أقم لي كتدرائية في الساحة التي امام قصري وتنجزها غدا مساء . اذا اكملتها سأكافئك ، واذا فشلت ساقطع رأسك .

عندما سمع (اميليان) امر الملك خرج وذهب الـى البيت ٠ وفكر في نفسه : « نهايتي قريبة » وجاء الى زوجته وقال لهـا : تأهبي يا زوجتي للهرب من هنا والا ضاعت حياتي لذنـب لـم أقترفه ٠

فقالت : ما الذي ارعبك هذا الرعب ؟ ولمـاذا نهـرب ؟

فاجاب : وكيف أتمالك نفسي عن الرعب وقد أمرني الملـك أن أبني له كنيسة غدا وانمها في نهار واحد ٠ والا فسوف سيقطع رأسي ٠ وليس أمامنا سوى الهرب مادام بين أيدينا متسـع من الوقـت ٠

ولكن زوجته لم تستمع الى قوله وقالت : جنود الملك كثير ٠ وسوف يلقون القبض علينا في أي مكان ، فلا مهرب لنا منه وعلينا طاعته مادامت لدينا قوة ٠

ـ وكيف أطيعه والعمل فوق طاقتي ؟

ـ لا تحزن ايها الرجل الطيب ٠ تناول عشاءك الان واذهب الى النوم ٠ انهض مبكرا في الصباح وسوف ينجز كل شيء ٠

استلقى (اميليان) وغفا ٠ وأيقظته زوجته في الصباح الباكر قائلة : اسرع واكمل الكنيسة ٠ اليك هذه المسـامير والمطرقـة ٠ مازال أمامك مزيد من العمل لنهارك ٠

ذهب (اميليان) الى المدينة ووصل ساحة القصـر ووجـد كنيسة كبيرة لم تكمل بعد ٠ شرع (اميليان) يعمـل مـا هـو ضروري واكمل كل شيء عند المساء ٠

وعندما استيقظ الملك نظر من قصره فرأى الكنيسة واميليان يدق المسامير هنا وهناك • ولم يسر الملك وجود الكنيسة ــ بل أغاظه انه لم يكن قادرا على ادانة (اميليان) والاستيلاء على زوجته • فعاد يستدعي خدمه وقال لهم : لقد انجز اميليان عمله هذا أيضا ولا عذر لي في اعدامه • حتى هذا العمل لم يكن عسيراً عليه ، وما عليكم الا ان تجدو خطة ماكرة والا قطعت رؤوسكم ايضاً •

قرر الخدم ان يؤمر (اميليان) بشق نهر حول القصر تسير فيه السفن • فارسل الملك الى اميليان وأمره بالمهمة الجديدة •

وقال له : بما أنك استطعت ان تبني كنيسة في نهار واحد، فانك تستطيع ان تفعل هذا • واذا لم تفعل فاني سأقطع رأسك •

اصبح (اميليان) أشد حزنا من ذي قبل وعاد الى زوجته كئيباً مثقل الفؤاد •

فقالت له زوجته : ما أحزنك ؟ هل عهد الملك اليك بعمل جديد ؟

فاخبرها (اميليان) بذلك • وقال لها : يجب أن نهرب •

ولكن زوجته اجابت : لا مهرب من الجنود • سوف يلقون القبض علينا اينما نذهب • وليس امامنا سوى الرضوخ •

فتأوّه (اميليان) قائلاً : وكيف استطيع عمل ذلك ؟

فقالت مندهشة : أي ، أي ! لا تحزن ايها الرجل الطيب ، تناول عشاءك الان واذهب الى فراشك لتنام واستيقظ مبكرا وسيكون كل شيء قد تم في حينه •

فاستلقى (اميليان) ونام • وايقظته زوجته في الصباح الباكر وقالت له : اذهب الى القصر • كل شيء قد تم سوى كومة قرب رصيف الميناء أمام القصر • خذ مسحاتك وسوّها •

وعندما استيقظ الملك رأى نهرا لم يكن موجودا مثل هذا تجري فيه السفن ذهابا وايابا وكان (اميليان) يسوي ركاماً بمسحاته • دهش الملك ولم يسره النهر ولا السفن فاغتاظ غيظا شديدا لعدم تمكنه من ادانة اميليان • وفكر : « ليس ثمة مهمة تعهد اليه لا يستطيع انجازها • فما العمل ؟ » واستدعى خدمه مرة اخرى وسألهم النصيحة •

وقال : اريد عملاً لا يستطيع اميليان انجازه ، لانه يتم كل ما عهدنا به اليه من عمل مهما كان ، ولا أستطيع أن آخذ زوجته منه •

راح خدم الملك يفكرون ويفكرون حتى وجدوا حيلة • وجاءوا الى الملك وقالوا : ابعث الى (اميليان) وقل له : « اذهب الى حيث لا ادري أين واجلب ما لا أدري ماذا ؟ » عندئذ لا مهرب له منك ، ولا اهميه للمكان الذي يذهب اليه ، فانك تستطيع ان تقول له انه لم يذهب الى المكان الصحيح ، ولا اهمية للشيء الذي يجلبه ، فانك تستطيع ان تقول له انه ليس الشيء الصحيح• عندئذ تستطيع ان تقطع راسه وتأخذ فكرة زوجته •

فرح الملك وقال : هذه فكرة حسنة •

وارسل الملك الى (اميليان) وقال له : اذهب الى حيث لا ادري اين واجلب ما لا ادري ماذا واذا فشلت ساقطع راسك •

عاد (اميليان) الى زوجته واخبرها بما قال الملك . وتأملت زوجته وقالت : حسنا ، لقد علموا الملك كيف يوقعك في شرك . فعلينا ان نتصرف بحذر .

هكذا جلست وفكرت وقالت اخيرا لزوجها : عليك أن تذهب بعيدا الى جدتنا ـــ الفلاحة العجــوز ، أم الجنود ـــ ويجب ان تطلب معونتها . واذا ساعدتك في أي شيء ، ارجع به الى القصر مباشرة ، وسأكون هناك : فــلا مهرب لي منهــم الان . سوف يأخذونني بالقوة ، ولكن لن يطول الزمن . واذا فعلت كل شيء كما توجهك الجدة فانك ستنقذني فورا .

وهيأت زوجها للسفر . واعطته خرجا ومغزلا وقالت لــه : « اعطها هذا وستعرف من هذه العلامة انك زوجي » . وبينت له زوجته طريقه . انطلق (اميليان) . وترك المدينة خلفــه ووصــل بعض الجنود يتدربون . وقف (اميليان) يراقبهم ، ثم جلسوا يرتاحون . فتقدم اميليان اليهم وسألهــم : اتعرفون يا اخوتي الطريق الى «حيث لاادري اين؟ » وكيف احصل على « ما لاادري ماذا ؟ » .

استمع الجنود اليه مدهوشين وقالوا له : من أرسلك في هذه المهمة ؟ فقال : الملك .

قالوا : نحن انفسنا من يوم أصبحنا جنودا نذهب الى حيث لا ندري اين ولم نصــل الى هــنـاك حتى الآن قط ، ونبحث عمــا لاندري ماذا ولم نجده . فلا نستطيع ان نساعدك .

جلس (اميليان) مع الجنود برهة ثم واصل سيره • وقطع مجهدا اميالا كثيرة حتى وصل اخيرا الى غابة • وكان في الغابة كوخ وفي الكوخ جلست امرأة عجوز ، أم الجنود ، تغزل كتانا وتبكي • ولما كانت تغزل ، لم تمد اصابعها الى فمها لتبللها بلعابها بل الى عينيها لتبللها بدموعها • ولما رات العجوز (اميليـان) ، صاحت به : « لماذا اتيت الى هنا ؟ » فاعطاها اميليان المغزل وقال ان زوجته ارسلته • هدأت العجوز من فورها وبدأت تسأله ، فاخبرها اميليان بقصة حياته • وكيف تزوج الفتاة وكيف ذهبا للعيش في المدينة وكيف اشتغل وماذا عمل في القصر وكيف بنى الكنيسة وشق نهرا فيه سفن تجري ، وكيف امره الملك الآن ان يذهب الى حيث لا يدري اين ويجلب ما لا يدري ماذا •

استمعت الجدة الى النهـاية وكفت عـن البكاء • وتمتمت لنفسها : « لقد حان الوقت حقا » • ثم قالت له : حسنا ياولدي • اجلس الان • ساعطيك شيئا تاكله •

اكل (اميليان) ثم اخبرته الجدة ماذا يفعل وقالت له : اليك هذه الكرة من الخيوط • دحرجها امامك واتبعها اينما تذهب • عليك ان تسير بعيدا حتى تصل البحر • واذا وصلت الى هناك سترى مدينة عظيمة • ادخل المدينة واطلب المبيت في ابعد بيت • وابحث هناك عما جئت من اجله •

قال : وكيف اعرف عندما أراه ياجدتي ؟

فقالت : عندما ترى شيئا يطيعه الناس اكثر من امهم وابيهم ، فأنه هو • امسك بـه وخذه الى الملك • واذا جلبته الى الملك

سيقول لك انه ليس الشيء الصحيح وعليك ان تجيبه : « ان لم يكن هذا هو الشيء الصحيح فيجب ان يحطم » . وعليك ان تضربه وتحمله الى النهر وتكسره قطعا ، وترميه في الماء . بعد ذلك سوف تستعيد زوجتك وسوف تجف دموعي .

ودع (اميليان) الجدة وبدأ يدحرج الكرة امامه . ظلت تتدحرج وتتدحرج حتى وصلت اخيرا الى البحر . وكانت عند البحر مدينة عظيمه وفي طرفها الاقصى بيت عظيم . طلب (اميليان) من اهله المبيت فسمحوا له . استلقى لينام ، واستيقظ في الصباح وسمع الاب يوقظ ابنه . ليذهب حتى يقطع الحطب للنار ولكن الابن لم يطع وقال : « الوقت مبكر جدا . أمامي وقت كاف » ثم سمع اميليان الام تقول : اذهب يا ولدي فان ابك جسده يؤلمه ، فهل تريده ان يذهب هو نفسه ؟ لقد حان وقت نهوضك .

ولكن الصبي تمتم بضع كلمات . وعاد لينام . ولم يكد ينام حتى دوى شيء وارعد في الشارع . فوثب الابن ناهضا واسرع يلبس ثيابه وخرج الى الشارع . ووثب (اميليان) ايضا وركض وراءه ليرى ما الشيء الذي اطاعه الابن اكثر من ابيه وامه . رأى رجلا يمشي في الشارع يحمل شيئا مربوطا الى بطنه ، شيئا يضربه بالعصى ، فيحدث دويا ورعدا ، وهو الذي اطاعه الابن . ركض (اميليان) والقى نظرة عليه . فرآه مستديرا مثل طست صغير ، وقد شد على وجهيه جلد . فسأل ماذا يدعى هذا الشيء فقيل له : طبل .

— وهل هو فارغ ؟

— نعم فارغ .

دهش اسيليان . وطلب ان يعطوه الشيء ، ولكنهم لم يوافقوا فدفع (اميليان) عن السؤال . وتبع الطبال . وظل يتبعه طوال النهار . وعندما استلقى الطبال اخيرا لينام خطف اميليان الطبل منه وهرب به . وظل يركض ويركض حتى وصل اخيرا الى مدينته . ذهب ليرى زوجته ولكنها لم تكن في البيت . كان الملك قد اخذها في اليوم الذي خرج فيه اميليان . فذهب (اميليان) الى القصر وأرسل رسالة الى الملك : لقد عاد الذي ذهب الى « حيث لا يدري أين » وجلب معه « مالا يدري ماذا » .

واخبروا الملك فقال : ليأت في اليوم التالي .

ولكن اميليان قال : قولوا للملك اني جئت اليوم الى هنا وجلبت ما طلب الملك . ليخرج الي والا دخلت اليه !

خرج الملك وقال : أين كنت ؟

فاخبره اميليان .

فقال الملك : ليس ذلك هو المكان الصحيح . وماذا جلبت ؟

اشار اميليان الى الطبل ولكن الملك لم ينظر اليه .

— ليس هذا هو الشيء .

فقال اميليان : ان لم يكن هو الشيء الصحيح فيجب ان يهشم ليأخذه الشيطان .

غادر اميليان القصر يحمل الطبل ويضربه . ولما ضربه خرج جميع جنود الملك راكضين وراء اميليان يحيونه وينتظرون أوامره .

وبدأ الملك من نافذته يصـيح بالجنود ألا يتبعـوا اميليان ولكنهم لم يستمعوا الى ما قال الملك بل تبعوا اميليان جميعا .

وعندما رأى الملك ذلك ، أصدر أوامره أن تعاد زوجة اميليان الى زوجها ويرسل من يطلب من اميليان أن يعطيه الطبل .

فقال اميليان : لا يمكن أن يتم ذلك ، لاني أمرت ان أحطمه وأرمي شظاياه في النهر .

ذهب (اميليان) الى النهر حاملا الطبل والجنود من خلفه . وعندما وصل ضفة النهر ، حطم الطبل وانقى شظاياه في التيار . وهرب جميع الجنود .

أخذ اميليان زوجته معه الى بيته . وكف الملك بعد ذلك عن ازعاجه وعاشا بعد ذلك عيشاً سعيداً .


310

(قصة اقتبسها تولستوي من موبسان القاص الفرنسي)

تقع قرب الحدود الفرنسية الايطالية ، على شاطيء البحر المتوسط ، مملكة صغيرة اسمها موناكو . ويمكن ان نفخر كثير من المدن ان سكانها اكثر من سكان هذه المملكة ، اذ يبلغ مجموعهم نحو سبعة آلاف نسمة واذا قسمت أرض المملكة فلن يصيب الفرد ايكراً واحداً . ولكنّ في هذه المملكة الصغيرة اميرا حقيقيا وله بلاط وحاشية ووزراء واسقف وقادة عسكريون وجيش .

وليس الجيش كبيراً ، فهو يتكون من ستين نفراً ولكنه مع ذلك جيش . وتفرض الضرائب في هذه المملكة ، كما في غيرها : كضريبة التبغ والخمور والمشروبات الروحية وضريبة الرؤوس على الاشخاص البالغين ولكن على الرغم من أن الناس فيها يشربون ويدخنون مثلما يشرب ويدخن الناس في بلدان اخرى ، فان عددهم قليل مما جعل الامير في وضع حرج في اعاشة حاشيته وموظفيه والمحافظة على حالة جيدة بالنسبة اليه لو لم يجد مصدرا جديدا وخاصا للدخل الاجمالي . يأتي هذا الدخل الخاص من بيت للمقامرة حيث يلعب الناس الروليت . وسواء أربحوا أم خسروا فان مدير البيت يأخذ نسبة مئوية من اللاعبين ويدفع مبلغا كبيرا من ارباحه الى الامير . والسبب في دفع مبلغ كبير هو

انها المؤسسة الوحيدة للمقامرة العلنية في اوربا . وقد اعتاد بعض الامراء الالمان الصغار على ادارة بيوت للمقامرة من النوع نفسه، غير انهم منعوا قبل سنوات قليلة من ذلك . وكان سبب المنع ان بيوت المقامرة هذه تؤدي الى أضرار جسيمة . فيأتي الرجل ويجرب حظه ثم يغامر بكل مالديه ويخسره ، ثم يغامر باموال قد لا تعود اليه ويخسرها أيضا ثم ينتحر في نوبة من اليأس باطلاق النار على نفسه أو اغراقها في الماء . فمنع الالمان حكامهم من كسب المال بهذه الطريقة . ولكن لم يمنع احد امير موناكو فبقي محتكراً لهذا العمل .

ولذا فان كل من يريد المقامرة يذهب الى موناكو ، التي يكسب أميرها سواء ربحوا أم خسروا . وكما يقول المثل : « لا يمكنك الحصول على قصور حجرية بالعمل الشريف » . ويعرف امير موناكو انه عمل غير نظيف ولكن ما العمل ؟ عليه أن يعيش وان الحصول على دخل من المشروب والتبغ شيء غير لطيف أيضا . وهو يعيش ويحكم على هذا الكسب السريع للمال ، ويحافظ على بلاطه بكل أُبَّهة الملك الحقيقي ، من اقامة حفلات التتويج والتشريفات والمكافآت والاحكام والعفو واستعراض الجند والمجالس الاستشارية والقوانين والمحاكم مثل الملوك الآخرين ولكن بمقياس أصغر .

وقد حدث قبل سنوات قليلة ان اقترفت جريمة قتل في هذه الامارة الصغيرة . وقد كان شعب هذه الامارة محبا للسلام ولم يحدث مثل هذا الشيء قبل اليوم . اجتمع القضاة بشيء كثير من

الطقوس الرسمية الفارغة ونظروا في القضية ملتزمين بأشد الطرق القضائية شرعية . وقد حضر قضــاة ومدعون عامون ومحلفون ومحامون وتناقشوا وكونوا رأياً ثم أصدروا في الختام حكمـا بقطع رأس المجرم وفــق القانــون . وكان في كل شيء حســنا حتى الآن . ثم أحالوا الحكم الى الامير . وقرأ الامير الحكــم وصادق عليه اذا وجب اعدام الرجل فليعدم .

ولم تكن أمامهم الا عقبة واحدة وهي أنهم لا يملكون مقصلة لقطع الرؤوس ولا جلاداً . وفكر الوزراء في الامر وقـرروا ان يخاطبوا الحكومة الفرنسية ويطلبوا منهم آلة وخبيرا لقطع رأس المجرم ، وان يتكرم الفرنسيون في حالة الموافقة باخبارهم بمقدار التكاليف . ارسلت الرسالة وجاء الجواب بعد اسبوع بامكان تجهيز مقصلة وخبير وان التكاليف تبلغ ١٦٫٠٠٠ فرنك . ووضع الامر امام الملك الذي فكـر فيه مليـا . ستة عشر الف فرنـك . وقال : هذا الحقير لا يساوي هذا المبلغ . الا يمكن تنفيذه بطريقة أرخص ؟ ان ١٦٫٠٠٠ فرنك تزيد على فرنكين لكل فرد مـن الشعب كله . والشعب لا يتحمل ذلك وقد يثير ذلك شغبا !

فدعي المجلس للنظر بما يمكن عمله وتقرر ارسال استفسار مشابه الى ملك ايطاليا . الحكومة الفرنسية جمهورية ولا تكن احتراما لائقاً بالملكية ولكن ملـك ايطاليا عاهل شقيق ويمكـن اقناعه بتنفيذ الامر بمبلغ أقل . فكتبت الرسالة وعاد الجـواب سريعا .

كتبت الحكومة الايطالية انها يسرها ان تجهز الالة والخبير

وستكون التكاليف ١٢٫٠٠٠ فرنك بضمنها اجور السفر . وكان ذلك أرخص ولكنه مع ذلك باهظ التكاليف ، فان الوغد لايستحق كل هذا المبلغ . ومايزال يعني قرابة اكثر من فرنكين من الضريبة على كل فرد . وعقد المجلس مرة اخرى . وناقشوا وفكـروا في كيفية تنفيذ ذلك بثمن أقل . ألا يمكن مثلا أن يقوم أحد الجنود بتنفيذ الامر بطريقة بسيطة غير معقدة ؟ استدعي القائد وسألوه ! « الا يمكنك ايجاد جندي يقطع رأس الرجل ؟ فهم في الحـرب لا يهمهم قتل الناس . وهذا هو في الحقيقة ما تدربوا على القيـام به » . وتحدث القائد بشأن ذلك مع الجنود ليرى ان كان احدهم يوافق ان يأخذ على عاتقه تنفيذ الامر . ولكن لم يوافق أحد من الجنود . وقالوا كلا ، نحن لا نعرف كيف نفعل ذلك . اننا لـم نتعلم ذلك الشيء .

فما العمل ؟ واجتمع الوزراء ودرسوا المسألة وقلبوا الامـر واجتمعوا في هيئة ولجنة ، ولجنة ثانوية ثم قرروا اخيرا ان افضل شيء أن يبدلوا حكم الاعدام الى سجن مدى الحياة . وسيجعل هذا العمل الامير قادرا على ابداء الرحمة وسيكون ذلك أرخص.

وافق الامير على ذلك وهكذا تم ترتيب الامر ، ولكن العقبة الوحيدة هذه المرة هي عدم وجود سجن مناسب لسجين مـدى الحياة ، بل يوجد محبس صغير لحجز الناس أحيانا لحين مؤقت ، غير انه لا يوجد سجن منيع للحكم المؤبد ، ولكنهم استطاعوا ان يجدوا مكانا يفي بالغرض . ووضعوا الشاب فيه ووضعوا عليه

حارسا . وكان على الحارس مراقبة المجرم وجلب الطعام له من مطبخ القصر .

بقي السجين هناك شهرا بعد شهر حتى انقضت سنة ، وعندما انقضت السنة نظر الامير في حساب وارده ونفقاته ذات يوم فوجد مادة جديدة للانفاق ، تلك هي التي تخص المجرم . ولم تكن قليلة . فقد كان له حرس خاص وطعامه ، وذلك يكلف اكثر من ٦٠٠ فرنك في السنة . والادهى من ذلك ان الرجل كان ما يزال شابا ومعافى وقد يعيش خمسين سنة . واذا حسب المرء حساب ذلك ، بدا الامر خطيرا . وهذا لا يناسب ابدا . فجمع الامير وزراءه وقال لهم : يجب أن تجدوا طريقة أرخص في التعامل مع هذا المجرم ، لان الخطة الحاضرة باهضة التكاليف .

واجتمع الوزراء وفكروا وقلبوا الامر ، حتى قال احدهم : ايها السادة ، يجب في رأيي تسريح الحارس .

وتدخل وزير آخر قائلا : ولكن المجرم سيهرب .

فقال الاول : وليهرب ونخلص منه !

ونقلوا نتائج مداولاتهم الى الامير ووافق عليها . وصرف الحارس وانتظروا ليروا ماذا سيحدث . كل ما حدث هو ان المجرم خرج عند وقت الغداء عندما لم يجد الحارس وذهب الى مطبخ الامير ليجلب غداءه . واخذ ما أعطي له وعاد الى السجن، واغلق الباب على نفسه وبقي في الداخل . وحدث الشيء نفسه في اليوم التالي . فذهب لجلب طعامه في الوقت المناسب ، أما الهرب فانه لم يبد علامة تدل على ذلك . فما العمل ؟ وعادوا يتأملون القضية .

وقالوا : يجب ان نخبره صراحة اننا لا نريد الاحتفاظ بـه حبيسا •

فاحضروه امام وزير العدل وقال الوزير : لمـاذا لم تهرب ؛ فلم يعد حارس يمنعك ؟ يمكنك ان تذهب حيث تشـاء ولن يمانـع الامير • فأجاب الرجل : اعتقد ان الامير لن يمانع ، ولكني لا أملك مكانا أذهب اليه • فماذا اعمل ؟ لقد حطمتم شخصيتي بحكمكم وسوف يدير الناس ظهورهم الي • واني ، فضـلا عن ذلك ، ابتعدت عن طريق العمل • لقد أسأتم معاملتي • وليس هـذا عدلا • فكان عليكم اولا عندما حكمتم علي بالاعدام ان تنفذوا الحكم ، ولكنكم لم تفعلوا • هذا شيء • ولم اتذمر ، ثم حكمتم علي بالسجن مدى الحياه ووضعتم حارسا يجلب لي الطعام ، ولكنكم اخذتم الحارس بعد مدة وكان علي ان اجلب طعامي أنا نفسي • ولم اتذمر ايضا • ولكنكم الان تريدونني ان اهرب ! فلا يمكن ان اوافق على ذلك • تستطيعون ان تفعلوا ماتشاءون ولكني لن اهرب ! فما العمل ؟ وعاد المجلس للاجتماع مرة اخرى• فأي طريق يسلكون ؟ الرجل لايريد الهرب • وتأملوا وفكروا • وكانت الطريقة الوحيدة للتخلص منه هو اعطاؤه راتبا تقاعديا • ونقلوا ذلك الى الامير وقالوا : ليس ثمة بديل من ذلك • يجب ان تتخلص منه بطريقة من الطرق • وعينوا المبلغ بمقدار ٦٠٠ فرنك ، وبلغ به السجين •

فقال : حسنا ، لا مانع لدي ما دمتم تتعهدون بدفعه بانتظـام • واني أوافق أن أخرج على وفق هذا الشرط •

وهكذا حسمت القضية . وتلقى ثلث راتبه السنوي مقدما وترك بلاد الامير . وقد استغرق ربع ساعة بالقطـار . وهاجر واستقر وراء الحدود حيث اشـترى قطعة ارض وبـدأ يزرع للسوق . وهو يعيش الان عيشا مريحا . ويذهب دائما في الوقت المحدد لتسلم راتب تقاعده ، ويعرج عندئذ الى موائـد المقامرة ويقامر بفرنكين او ثلاثة ويكسب احيانا ويخسر احيانا اخرى ، ثم يعود الى بيته . وهو يعيش بهدوء ورخاء .

والشيء الحسن الذي فعله انـه لم يقترف جريمته في بلـد لايتذمرون من تكاليف قطع رأس الانسان او الاحتفاظ به سجينا مدى الحياة .

سنة (١٨٩٧) م

العمل والموت والمرض

(اسطورة شائعة بين هنود امريكا الجنوبية الحمر)



يقولون ان الله خلق الناس في البدء بحيث لاحاجة بهم الى العمل او البيوت او الطعام او عاشوا حتى مئة عام ولم يعرفوا المرض . ونظر الاله بعد مدة ليرى كيف كان يعيش الناس وجد أنهم بدلا من العيش السعيد ، كانوا يتخاصمون فيما بينهم ولا يهتم احدهم الا بنفسه وبلغت بهم الامور حدا صاروا فيه يلعنون الحياة بدلا من الاستمتاع بها .

فقال الاله في نفسه : « هذا نتيجة عيشهم منفصلين ، كل واحد منهم لنفسه » . ولكي يغير حال الأمور ، رتب اوضاعهم بحيث غدا مستحيلا على الناس ان يعيشوا من دون عمل . وتفاديا للبرد والجوع اضطروا الى بناء مساكن وحراثة الارض ليزرعوها ويجنوا الثمار والحبوب ففكر الاله : ان العمل سيجمعهم معا . فلا يستطيعون ان لم يتعاونوا في صنع الالات ويهيئون الخشب وينقلونه ويبنون بيوتهم ويبذرون ويجمعون حصادهم ويغزلون وينسجون ويصنعون ملابسهم .

سيجعلهم ذلك يفهمون انهم كلما اشتغلوا معا بحماسة ، زاد ما يحصلون وحسن عيشهم ، والف بينهم ووحدهم » .

مضى زمان وعاد الاله ليرى كيف كان الناس يعيشون وهل كانوا سعداء ، ولكنه وجدهم يعيشون في حال أسوأ من ذي قبل .

كانوا يعملون معا ولم يكن لهم مفر من ذلك ، ولكنهم لم يكونوا جميعا ، بل كانوا متفرقين في جماعات صغيرة • وكل جماعة تحاول ان تخطف العمل من الجماعات الاخرى ، ويعيقون بعضهم بعضا ويضيعون وقتهم سدى ويبعثرون جهودهم في منازعات فساءت امورهم جميعا •

ولما وجد ان امورهم ليست على مايرام هذه المرة ايضا ، قرر ترتيب الاشياء بحيث لايعرف الانسان ساعة موته ، بل يموت في أية لحظة فاعلن ذلك لهم •

وفكر : اذا عرف كل واحد منهم انه قد يموت في اية لحظة ، فانهم لن يفسدوا ساعات عمرهم المخصصة لهم ، بالركض وراء المطامع التي لا تدوم الا قليلا •

ولكن الامر انقلب الى غير ذلك ، فعندما عاد الاله ليرى كيف يعيش الناس وجد حياتهم سيئة كالسابق •

فقد استغل الاقوياء حقيقة موت الانسان في أي وقت واخضعوا من هم أضعف وقتلوا بعضهم وهددوا الاخرين بالموت • فنتج عن ذلك ان الاقوياء وامثالهم لم يقوموا بأي عمل وصاروا يعانون ضجرا من البطالة ، في حين يجب على من هم اضعف ان يعملوا طاقتهم ويعانون من عدم الراحة • وصارت كل فئة منهم تخشى الاخرى وتكرهها • حتى صارت حياة الانسان اشد تعاسة •

ولما رأى الاله ذلك كله أراد اصلاح الامور مستفيدا من وسيلة اخيرة ، فارسل عليهم كل انواع المرض ، معتقدا انهم اذا

تعرضوا للمرض فان الاصحاء سيرحمون المرضى ويساعدونهم وانهم اذا مرضوا فان الاصحاء سيساعدونهم .

وتركهم ولما عاد ليرى كيف صار الناس يعيشون بعد ان صاروا عرضة للامراض ، وجد ان حياتهم اسوأ من ذي قبل . فأن المرض الذي حل بهم كان من الواجب ان يوحدهم ، ولكن فرقهم اكثر من ذي قبل . اجبر الاقوياء ، الذين جعلوا الاخرين يعملون ، ان يسهروا عليهم في ايام المرض ، ولكنهم لم يهتموا بالمرضى من الضعفاء . غير ان اولئك الذين اجبروا على العمل للاخرين والعناية بهم اذا مرضوا لم يجدوا الوقت للعناية بمرضاهم بل تركوهم من دون رعاية . ولئلا يزعج منظر الناس المرضى ويكد مباهج الاثرياء ، فان بيوت الفقراء التي يشقون فيها ويموتون ، ابعدت عن اولئك الذين قد يخفف عطفهم عنهم ، ويكونون في أيدي اناس مستأجرين يمرضونهم دونما عاطفة ، او حتى بشيء من الاشمئزاز . وفضلا عن ذلك ، فان الناس عدوا كثيرا من الامراض معديا وخشوا من الاصابة بها ، فلم يجتنبوا المرضى فقط بل عزلوا انفسهم عن الذين يعنون بهم .

ولما ترك الناس لانفسهم ، عاشوا طويلا قبل ان يدركوا انهم يجب او يمكن ان يكونوا سعداء . ولم يفهم الا قلة منهم مؤخرا ان العمل يجب الا يكون مصدر ذعر وقلق للبعض وعبودية للاخرين بل يجب ان يكون مهمة تشيع السعادة وتوحد الناس جميعا . وبدأوا يفهمون نتيجة الموت الذي يهدد الانسان دائما،

ان العمل الوحيد المعقول لكل انسان ان يقضي ما خصص له من سنين وشهور وساعات ودقائق في وئام ومحبة • وصاروا يفهمون ان المرض يجب يتيح الفرصة لكي يؤلف بين قلوب الناس بالمحبة ، بدلا من التفريق بينهم •

سنة (١٩٠٣) م

ثلاثة اسئلة



خطر ببال أحد الملوك انه اذا عرف دائما الوقت المناسب للبدء بأي شيء واذا عرف الانسان المناسب الذي يستمع اليه أو الذي يتجنبه ، واذا عرف أهم شيء يعمله ، فانه لن يفشل في أي شيء يتولاه .

ولما خطرت هذه الفكرة بباله أعلن في جميع أرجاء مملكته انه سيمنح جائزة كبرى لكل من يعلمه عن الوقت الصحيح لكل عمل وعن الشخص المناسب والشيء المهم الذي يجب عمله .

تقاطر العلماء الى الملك ولكنهم أجابوا اسئلته أجوبة مختلفة.

وجوابا على السؤال الاول قال بعضهم : لمعرفة الزمن الصحيح لبدء كل عمل يجب على المرء ان يرسم مقدما ، جدولا بالايام والاشهر والسنين ويجب أن يعيش على وقته . وبهذا فقط يمكن ، كما قالوا ، عمل كل شيء في وقته المناسب . واكد آخرون انه من المستحيل تعيين الزمن الصحيح لكل عمل مقدما ، ولئلا ينغمر المرء في الزمن الماضي الذي لا جدوى منه ، عليه ان ينتبه دائما الى كل ما يحدث ويعمل ما هو ضروري جدا . وقال غيرهم انه مهما كان الملك منتبها الى كل ما يحدث فمن المستحيل على رجل واحد ان يحدد الزمن الصحيح لكل عمل على نحو دقيق ، ولكن عليه أن يتخذ مجلسا من الحكماء الذين يساعدونه لتعيين الزمن المناسب لكل شيء .

وقال آخرون أيضا ثمة أشياء لا تحتمل الانتظار لكي توضع بين يدي المجلس ، بل يقرر المرء من فوره هل يأخذها على عاتقه أم لا ، ولكي يقرر ذلك عليه أن يعرف مسبقا ما سيحدث . ولا يعرف ذلك الا السحرة ، لذا يجب استشارة السحرة لمعرفة الزمن الصحيح لكل حدث .

وكانت الاجوبة عن السؤال الثاني مختلفة أيضا . فقال بعضهم ان أهم الرجال للملك هم مستشاروه ، وقال اخرون ، الكهنة ، وغيرهم ، الاطباء ، في حين قال بعض آخر المحاربون هم أهم الجميع .

أما السؤال الثالث الذي يتعلق باهم شيء فقد أجاب بعضهم ان أهم شيء في الدنيا هو العلم . وقال اخرون هو المهارة في الحرب ، وقال غيرهم انه العبادة الدينية .

ولما كانت الاجوبة مختلفة فلم يتفق الملك مع أي واحد منهم ولم يعط المكافأة لاحد ، ولكنه ظل راغبا في الاجوبة الصحيحة لاسئلته . لذلك قرر استشارة ناسك مشهور بحكمته .

كان الناسك يعيش في غابة لم يغادرها قط ولم يستقبل أحدا الا بسطاء الناس ، فلبس الملك ثيابا بسيطة وقبل أن يصل صومعة الناسك ترجل عن حصانه وترك حرسه وراءه وذهب اليه وحده .

عندما اقترب الملك ، كان الناسك يحرث الارض أمام الكوخ. ولما رأى الملك القى التحية عليه واستمر في الحراثة . كان الناسك ضعيفا مهزولاً . وكان كلما غرز المسحاة في الارض وقلب قليلاً من التربة ، تنفس بصعوبة .

فقدم الملك اليه وقال : اتيت اليك ايها الناسك الحكيم اطلب منك الاجابة عن ثلاثة اسئلة : كيف أعرف الشيء الصحيح في الوقت الصحيح ؟ ومن هم الناس الذين احتاج اليهم اكثر من غيرهم ويجب أن أهتم بهم اكثر من الاخرين ؟ وما هي أهم الامور التي تحتاج الى اهتمامي الاول ؟

استمع الناسك الى الملك ولكنه لم يجب شيئا . انما بصق بيده واستأنف الحفر .

فقال الملك : أنت متعب فدعني آخذ المعول واعمل بدلاً منك برهة من الزمان .

ـ « شكراً لك » قال الناسك واعطى المسحاة للملك وجلس على الارض .

توقف الملك بعد أن حفر لوحين وكرر الأسئلة . ولم يجب الناسك ولكنه نهض ومد يده الى المسحاة وقال :

ـ استرح هنيهة الان ، ودعني اشتغل قليلاً .

ولكن الملك لم يعطه المسحاة وواصل تقليب التربة . مرت ساعة وتلتها اخرى . وبدأت الشمس تغيب وراء الاشجار ، فغرز الملك المسحاة أخيرا في الارض وقال :

ـ جئت اليك أيها الرجل الحكيم اطلب جوابا لاسئلتي . واذا كنت لا تملك جوابا اخبرني بذلك وسأعود الى البيت .

فقال الناسك : ها قد جاء شخص راكضاً . دعنا نرَ من هو .

التفت الملك ورأى رجلاً ذا لحية يأتي راكضا من الغابة وهو يضغط على بطنه بيديه والدم يسيل تحتهما • وعندما وصل الرجل الى الملك، وقع على الارض مغمى عليه ، وهو يئن أنينا خافتا • فتح الملك والناسك ملابس الرجل فوجدا جرحا في بطنه • غسل الملك الجرح وضمده بمنديله وبمنشفة الناسك • ولكن الدم لم ينقطع عن الجريان ، وكان الملك يبدل الضماد المنقوع بالدم الساخن وينظفه ويعيد تضميد الجرح، حتى انقطع الدم أخيرا عن الجريان، وانتعش الرجل وطلب شيئا يشربه •

جلب الملك له ماء عذبا وأعطاه له • ولما غربت الشمس صار الجو باردا • فحمل الملك الجريح بمعونة الناسك الى الكوخ ووضعاه على الفراش • فاغمض عينيه وهو مستلق على الفراش وهدأ • ولما كان الملك متعبا من المشي ومن العمل فانه تكور عند العتبة ونام أيضا نوما عميقا طوال ليلة الصيف القصيرة • وعندما استيقظ عند الصباح لم يتذكر الا بعد وقت طويل أين كان ومن كان ذو اللحية المستلقي على الفراش يحملق فيه بعينين مشرقتين

ـ اصفح عني !

قال ذو اللحية بصوت ضعيف عندما رأى الملك مستيقظاً وينظر اليه •

فقال الملك : أنا لا اعرفك ، وليس لدي ما أصفح عنك بسببه • فقال الرجل : أنت لا تعرفني ولكني اعرفك • أنا عدوك الذي اقسم أن ينتقم منك لانك أعدمت اخاه واستوليت على أملاكه • وقد علمت انك ذهبت وحدك لمقابلة الناسك فقررت ان

اقتلك في طريق عودتك • ولكن النهار انقضى ولم تعد ، فخرجت من مكمني للبحث عنك ووصلت الى حرسك الذين عرفوني وجرحوني ، هربت منهم • ولولا تضميدك جروحي لنزفت حتى الموت • أردت قتلك ولكنك انقذت حياتي • وها أنا اعيش ، واذا شئت فاني اخدمك واكون مخلصا لك وسوف أوصي اولادي أن يفعلوا الشيء نفسه • فاغفر لي !

سُرّ الملك انه تصالح مع عدوه بمثل هذه السهولة وكسبه صديقا ، ولم يغفر له حسب بل قال انه سيرسل خدمه وطبيبه الخاص للعناية به ، ووعد أن يعيد ممتلكاته • وبعد أن استأذن الملك الرجل الجريح ، خرج الى الرواق ونظر باحثا عن الناسك • وقبل أن يرحل طلب من الناسك أن يجيب على اسئلته • كان الناسك في الخارج جاثيا على ركبتيه يزرع البذور في الالواح المحروثة في الامس •

وتقدم الملك اليه وقال :

ـ أرجوك ايها الرجل الحكيم اخر مرة أن تجيب عن اسئلتي •

ـ لقد اجبتك توّاً •

قال الناسك ذلك وهو جاثٍ على ساقيه النحيلتين رافعا نظره الى الملك الذي وقف أمامه •

فسأله الملك : كيف اجبتني ؟ ماذا تعني ؟

أجابه الناسك : الا ترى ، لو لم تشفق على ضعفي أمس ولو لم تقلب هذه الارض لي ، وذهبت في سبيلك ، لهاجمك ذلك الرجل

ولندمت على عدم بقائك معي . لذا فان أهم وقت هو عند تقليبك الارض وكنت أنا أهم انسان ، وعمل الخير من أجلي كان اهم عمل . بعد ذلك ، عندما جاء ذلك الرجل يركض الينا ، فان أهم وقت هو عند رعايتك له ، فلو لم تضمد جروحه لمات من دون أن تتصالح معه . لذلك كان أهم رجل ، وما فعلت له كان أهم عمل. تذكر اذن ان هناك وقتا واحدا هو المهم ـ الآن . انه اهم وقت لانه الوقت الوحيد الذي تملك فيه القوة . وان الرجل المهم هو الذي نكون معه ولا يعرف أحد هل ستكون له علاقات مع أي شخص اخر ، وان أهم شيء هو أن تنفعه ، لان الانسان جاء الى الحياة من أجل ذلك الغرض وحده .

(١٩٠٣)



أراد ابو وقاص والي الجزائر ان يتحقق هو نفسه من صحة ما قيل له ان قاضيا عادلا في احدى مدن البلاد يستطيع تمييز الحق من الباطل فورا فلا يسع أي محتال أن يخدعه • تنكر ابو وقاص بهيئة تاجر وانطلق على صهوة جواد الى المدينة التي يسكنها القاضي • ولما بلغ باب المدينة تقدم شحاذ أعرج الى أبي وقاص وراح يسأله صدقة • فمنحه ابو وقاص شيئا من المال وكان يوشك أن يسير ولكن الاعرج تشبث بعباءته • فسأله ابو وقاص : ماذا تريد ؟ ألم أعطك صدقة ؟

فقال الشحاذ : نعم ، اعطيتني ولكني أطلب منك فضلا اخر : ان تحملني على حصانك الى ميدان المدينة والا سحقتني الجنود والجمال •

أردف ابو وقاص الاعرج خلفه وحمله الى الميدان وحينما وصلا أوقف أبو وقاص الحصان ولكن الاعرج رفض النزول •

فقال أبو وقاص : لماذا تظل راكبا ؟ انزل فقد وصلنا •

ولكن الشحاذ قال : ولماذا انزل ؟ انه حصاني • واذا لم تتنازل عنه بمحض ارادتك ، فلنذهب الى القاضي •

وكان الناس قد تجمهروا واستمعوا الى النقاش الذي دار بينهما • فهتفوا جميعا :

ــ اذهبا الى القاضي • سوف يفض النزاع بينكما •

توجه ابو وقاص والاعرج الى القاضي • وكان لديه اناس اخرون أيضا ، يدعوهم على وفق أدوارهم ليفض الخلاف بينهم :

استدعى القاضي ، قبل أبي وقاص ، عالما وفلاحا اختصما بشأن خادمة خرساء ، ادعى الفلاح انها خادمته ، وادعى العالم انها له • سمع القاضي ادعاء الاثنين وتأمل لحظة •

وقال : اتركا الخادمة عندي وارجعا غدا •

وعندما خرج الاثنان دخل حداد وزيات، وكانت ثياب الحداد مجللة بالسواد وثياب الزيات مشبعة بالزيت • وكان الحداد يمسك نقودا بيده والزيات يمسك بيد الحداد •

قال الحداد : اشتريت شيئا من الزيت من هذا الرجل واخرجت كيس نقودي لادفع له ثمنه ولكنه قبض على يدي وحاول انتزاع النقود • وهكذا جئنا اليك ــ أنا أمسك بكيسي بيدي وهو يقبض على يدي ، ولكن النقود تعود لي • انه لص •

ولكن الزيات قال : ليس هذا صحيحا • فقد جاء الحداد الي ليبتاع زيتا • وبعد أن ملأت له قارورة ، طلب مني ان اصرف له قطعة من الذهب • فاخرجت نقودي ووضعتها على المنضدة ، فأخذها وحاول الهرب بها فأمسكت به من يده وجلبته الى هنا •

تأمل القاضي لحظة وقال : اتركا النقود هنا وارجعا غدا •

وعندما جاء دور أبي وقاص والشحاذ الاعرج ، أعاد ابو وقاص على مسمع القاضي ماحدث واصغى اليه وطلب من الشحاذ الادلاء بدعواه فقال الشحاذ : ليس هذا صحيحا • فقد كنت راكبا حصاني

في المدينة وكان هذا جالسا على قارعة الطريق وطلب الي ان اركبه. فاركبته حصاني وها هو يقول ان الحصان حصانه وهذا قول غير صحيح .

فكر القاضي لحظة وقال : اتركا الحصان عندي وارجعا غدا .

واجتمع في اليوم الثاني قوم كثير ليستمعوا الىحكم القاضي. وكان أول الداخلين العالم والفلاح .

قال القاضي للعالم : خذ خادمتك . وليجلد الفلاح خمسين جلدة .

أخذ العالم خادمته ولقي الفلاح جزاءه .

ثم استدعى القاضي الحداد وقال له : النقود لك .

وأشار الى الزيات وقال : ليضرب خمسين جلدة .

ثم استدعي ابو وقاص والشحاذ .

وسأل القاضي أبا وقاص : اتعرف حصانك بين عشرين فرسا .

ـ نعم ، اعرفــه .

ـ وأنت ؟

قال الشحاذ : اعرفه أنــا ايضا .

فقال القاضي لابي وقاص : تعال معي

ودخلا الاصطبل . واشار ابو وقاص الى حصانه ، على الفور ، بين عشرين حصانا أخر .

ثم استدعى القاضي الشحاذ الاعرج الى الاصطبل وامره أن يشير الى الحصان . عرف الشحاذ الحصان وأشار اليه . ثم عاد

القاضي الى مجلسه وقال لابي وقاص : الحصان حصانك • وليضرب الاعرج خمسين جلدة •

وبعد أن أتم القاضي المحاكمات خرج ليذهب الى البيت فتبعه أبو وقاص •

فسأله القاضي : ما خطبك ؟ ألم يرضك حكمي •

فقال ابو وقاص : بل أنا سعيد به • ولكني أردت ان اعرف كيف توصلت الى أن الخادمة تعود للعالم وليست للفلاح وان النقود للحداد وليست للزيات وان الحصان لي وليس للشحاذ ؟

عرفت أمر الخادمة عندما استدعيتها صباح اليوم وطلبت اليها ان تملأ الدواة حبرا • فأخذت المحبرة وغسلتها وملأتها حبرا ببراعة • فمن الجلي انها قد اعتادت عمل ذلك ، ولو انها كانت خادما للفلاح لما كانت قادرة على عمل ذلك • لذا فان العالم كان على حق • وعرفت حقيقة النقود عندما وضعتها في كأس ماء وجئت انظر اليها اليوم صباحا لارى ان كان على وجه الماء زيت • فلو كانت النقود للزيات لكان فيها زيت من لمس يديه • فلم أجد زيتا على الماء ، لذا فمن الجلي ان الحداد كان صادقا في قوله • ولكن مسألة معرفة أمر الحصان كانت اصعب • فقد عرفه كلاكما ، انت والشحاذ ، على الفور بين عشرين حصانا • ولكنني لم ادخلكما معا في الاصطبل لكي أرى ان كنتما تعرفان الحصان بل لارى من منكما يعرفه الحصان • فعندما توجهت الى الحصان ، أدار الحصان رأسه وتحرك نحوك ، ولكن عندما لمسه الشحاذ ، فانه

ارجع اذنيه الى الخلف ورفع احدى قائمتيه • فعرفت انك صاحب الحصان الحقيقي •

فقال ابو وقاص : أنا لست تاجرا ، بل الوالي ابو وقاص • جئت للوقوف على صحة ما يقوله الناس عنك • فوجدتك قاضيا حكيما • فاطلب مابدا لك وأنا احقق لك مأربك •

فقال القاضي : ليست بي حاجة الى مكافأة •

أينما يكون الحب فثمة وجه الله



عاش في مدينة من المدن اسكاف اسمه (مارتن افديج). وكان يسكن في حجرة في سرداب بناية . تطل نافـذة الحجـرة الوحيدة على الشارع . ولا يستطيع ان يرى من خلالها الا اقدام عابري السبيل ، ولكن (مارتن) صار يعرف الناس بأحذيتهم . عاش طويلا في ذلك المكان وصار له معارف كثيرون . لا يكاد زوج من الاحذية في تلك المحلة لم يمر بين يديه مرة او مرتين ، لذلك كان في اغلب الاحيان يرى عمل يديه من خلال النافذة . فبعضها ابدل نعليها وبعضها رقعها وبعضها درزها وبعضهـا وضـع لها وجهـا جديدا . كان كثير الشغل لانه يحسن العمل ويستعمل مادة جيدة ولا يتقاضى كثيرا ويمكن الاعتماد وعليه . فاذا كان يستطيع انجاز عمل في يومه يؤديه ، وان لـم يستطع فانـه يصدق القول ولا يعطي وعودا كاذبة لذلك فانه كان مشهورا ولم يكن يعوزه العمل.

كان (مارتن) رجلا طيبا وبدأ في شيخوخته يكثر التفكـير بروحه ويتقرب الى الله . وعندما كان يشتغل لدى استاذ في المهنة، قبل ان يشتغل على حسابه الخاص ، ماتت زوجته تاركة له ولدا عمره ثلاث سنوات . ولم يكن قد بقي له من الاطفال على قيـد الحياة احد غيره فقد ماتوا جميعا في مدة رضاعتهم . فكر (مارتن) بادىء ذي بدء ان يرسل ابنه الصغير الى اخته في الريف ولكنه

شعر بالحزن على فراق ولده وفكر في نفسه : من الصعوبة على ولدي الصغير (كابيتون) ان ينشأ في عائلة غريبة ، سوف ابقيه معي .

وترك مارتن استاذه واستأجر حجرة مع ولده الصغير . ولكنه لم يكن موفور الحظ مع اطفاله . فلم يكد الولد يبلغ عمرا معينا يستطيع ان يساعد اباه وان يكون عونا وزينة وبهجة له ، حتى مرض وظل طريح الفراش اسبوعا كاملا تلهبه الحمى ، ثم مات . دفن مارتن ابنه واستسلم الى يأس عظيم وغامر وكاد في تذمره ان يكفر . غير انه في غمرة حزنه عاد يصلي ويبتهل الى الله ان يموت بعد ان اخذ ولده الحبيب ، الوحيد ، بينما بقي هو الشيخ الفاني حيا .

وفي يوم من الايام زار احد الحجاج مارتن . ففتح مارتن قلبه للحاج الشيخ واخبره عن احزانه .

وقال : لم اعد ارغب في الحياة ايها الرجل المقدس . كل ما اطلبه من الله ان يعجل في موتي . وها انا اعيش من دون امل في هذه الدنيا .

فرد عليه الشيخ قائلا : لا حق لك في قول مثل هذه الاشياء يا مارتن . فلا اعتراض لنا على حكم الله . فاذا اراد الله ان يموت ابنك وتعيش انت ، فلابد ان ذلك هو الخير . اما يأسك فمرده الى انك تريد ان تعيش من اجل سعادتك الخاصة .

فسأله مارتن : ولاي شيء غير ذلك يعيش الانسان ؟

اجابه الشيخ : من اجل الله يا مارتن • هو الذي وهبك الحياة ويجب ان تعيش من اجله • واذا تعلمت ان تعيش من اجله فلن تحزن بعد ذلك وسيبدو كل شيء يسيرا لديك •

صمت (مارتن) برهة ثم سأل : ولكن كيف يعيش المرء من اجل الله ؟ فاجابه الشيخ : هذا ما بينه الله لنا ، أتستطيع القراءة ؟ اذن خذ كتاب الله واقرأ وستعرف كيف اراد الله لك ان تعيش •

تغلغلت هذه الكلمات في اعماق قلب (مارتن) فذهب من فوره في ذلك اليوم وحصل على كتاب حروفه كبيرة وبدأ يقرأ • وقد نوى بادىء ذي بدء ان يقرأ في ايام العطل فقط ، ولكنه ما ان شرع في القراءة حتى وجد انها جعلت فؤاده خفيفا جدا فصار يقرأ كل يوم • وكان احيانا يستغرق في القراءة حتى يستنفد زيت المصباح قبل ان يسلخ نفسه عن الكتاب • واستمر يقرأ كل ليلة، وكلما زادت قراءته اتضح فهمه لما يريد الله منه وكيف يمكن ان يعيش من اجله • وغدا قلبه اخف واخف • كان في السابق ينام مهموم الفؤاد ويئن وهو يفكر بولده الصغير كابيتون ، ولكنه صار الآن يردد • الحمد لله ، الحمد لك يا رب !

تغيرت حياة مارتن كلها منذ ذلك الحين • وكان قد اعتاد سابقا ان يذهب في ايام العطل ويتناول الشاي في المقهى ولم يرفض كأسا او كأسين من الشراب • وكان احيانا يغادر الحانة ، بعد احتسائه قليلا من الشراب مع احد الاصدقاء ، غير ثمل بل مرح قليلا ويتفوه باشياء مضحكة ، سخيفة ، ويصيح على احد الرجال

او يسبه . اما الان فقد ولى كل شيء من هذا القبيل ، وغـدت حياته هادئة بهيجة .

ويباشر عمله في الصباح . وكان اذا ما انتهى من عمل يومه ينزل المصباح المعلق على الحائط ويضعه على المنضدة ويجلب من الرف كتاب الله ويفتحه ويجلس للقراءة . وكلما قرأ ازداد فهمه وسعادته وصفا فكـره .

وحدث ذات مرة ان كان (مارتن) ساهرا منغمرا في قراءة ، الذي يحضه على التسامح والتعاون وعمل الخير وما ينفع الناس .

قرأ (مارتن) تلك الكلمات وشعر بالسعادة تعمر نفســه . فخلع نظارته ووضعها على الكتاب واستند الى المنضدة بمرفقيه وراح يفكر بما قرأ . وحاول ان يقيس حياته بتلك الكلمـات ، ويسأل نفسه .

ـــ هل افعالي مما ينفع الناس ؟ يظن المرء انه قام بما امر الله وهو جالس وحده في بيته ، ولكن اذا اغفل فانه يأثم مرة اخرى . ولكنني سأواظب على عمل الخير ، فانه يجلب السعادة . ساعدنـي يا ربي !

فكر بذلك كله وكان يوشك ان يذهب الى الفراش ولكنه لم يشأ ان يترك الكتاب ، فواصل القراءة عن حب الخير وزيارة الخيرين والاولياء وحتى الملائكة لفاعلي الخير .

وضع (مارتن) رأسه على ذراعيه واغفى من دون ان ينتبه لذلك . وسمع على حين غرة صوتا كأنه يهمس باذنه : مارتن !

جفل من نومه وصاح : من هذا ؟

والتفت الى الباب ولم ير احدا • ونادى مرة اخرى • فسمع بوضوح : مارتن • يا مارتن ! انظر غدا الى الشارع لاني سوف اجيء •

نهض (مارتن) من كرسيه وفرك عينيه ، ولم يدر هل سمع هذه الكلمات في حلمه ام في يقظته • واطفأ المصباح واستلقى لينام • نهض في صباح اليوم التالي قبل بزوغ الشمس وتلا صلاته واشعل النار وهيأ حساء اللهانة وعصيدة القمح ثم اشعل السماور • ولبس المئزر وجلس للعمل لدى النافذة • وراح يفكر بما حدث في الليلة الماضية • وقد بدا له ذلك كالحلم حينا او انه سمع الصوت حقيقة حينا اخر • وقال في نفسه : ان مثل هذه الاشياء حدثت لي قبل هذا •

فجلس لدى النافذة ينظر الى الشارع اكثر مما يشتغل • وكلما مر احد بحذاء غير مألوف انحنى ونظر الى الاعلى لا ليرى قدمي عابر السبيل فقط بل وجهه ايضا • مر بواب بيت يحتذي حذاء جديدا ثم سقاء • واقترب من النافذة جندي عجوز من ايام حكم نيقولا والمجرفة في يده • عرفه (مارتن) من حذائه البالي العتيق • اسم هذا العجوز (سطيفان) استخدمه احد التجار في بيته عطفا عليه ، وكان واجبه مساعدة البواب • بدأ يجرف الثلج امام نافذة مارتن • القى مارتن اليه نظرة ثم واصل عمله •

وقال مارتن : « لابد انني جننت في شيخوختي » وضحك من تصوراته أيأتي سطيفان يجرف الثلج واتخيله ملاكا يأتي لزيارتي ؟ يا لي من خرف عجوز !

ولكن بعدان اكمل اثنتي عشرة غرزة شعر انه منجذب للنظر الى خارج النافذة مرة اخرى • فرأى (سطيفان) قد اسند مجرفته الى الجدار اما ليرتاح او يتدفأ • كان الرجل شيخا مهدما لا يقوى على ازالة الثلج •

وفكر مارتن : ماذا لو ناديته وقدمت له بعض الشاي ؟ اوشك السماور ان يغلي •

وغرز المحرز في مكانه ونهض ووضع السماور على المنضدة ثم صنع الشاي • ونقر على النافذة باصابعه فالتفت سطيفـان وجاء الى النافذة ، فأومأ له (مارتن) ان يدخل وذهب ليفتح له الباب •

وقال : ادخل ودفيء نفسك قليلا ، انا متأكد انك تشعر بالبرد فاجاب سطيفان : بارك الله بك • عظامي تؤلمني بكل تأكيد •

ودخل وقد نفض الثلج اولا وصار يمسح قدميه لئلا يترك آثارا على الارض ولكنه صار يترنح وكاد يقع •

وقال مارتن : لا تزعج نفسك بمسح قدميك • سوف امسح الارض ــ انه من اعمالي اليومية ، تفضل ايها الصديق • اجلس وتناول شيئا من الشاي •

وملأ قدحين ، قدم احدهما الى ضيفه • وصب ما في قدحه في الصحن وبدأ ينفخ عليه •

شرب (سطيفان) شايه وقلب القدح ، علامة الاكتفـاء ، ووضع بقايا قطعة السكر عليه • وراح يعبر عن امتنانه ، ولكن من الواضح كان يسره لو تناول المزيد •

وقال مارتن : « خذ قدحا آخر » وعاد يملأ قدح الضيف وقدمه .وظل (مارتن) ينظر الى الشارع من الشباك وهو يرتشف الشاي .

فسأله الضيف : أتنتظر احدا ؟

فاجابه : هل انتظر احدا ؟ حسنا ، انا خجل ان اقول لك . انا لا انتظر احدا،ولكنني سمعت صوتا في الليلة الماضية لا استطيع أن ابعده عن تفكيري . لا ادري فيما اذا كان حقيقة ام خيالا . كنت اقرأ يا صديقي في الكتاب وكيف انه يرسل اولياءه الى الناس. واحسبك سمعت شيئا مثل هذا .

فقال سطيفان : اجل ،سمعت قولا مثل هذا ولكنني رجل جاهل ولا اعرف القراءة .

ــ حسنا يا صديقي ، قلت لك : كنت اقرأ عن ذلك ، وسألت نفسي كيف يمكن ان استقبل رجلا من امثال اولئك الرجال اذا ما جاءني . وبينما كنت افكر في ذلك ، يا صديقي ، غلبني النعاس ، ولما غلبني النعاس سمعت شخصا يناديني باسمي ، فنهضت وظننت ان احدا يهمس : « انتظرني ، ساجيء غدا » . حدث ذلك مرتين . واقول لك الحقيقة ، تغلغل ذلك في اعماق قلبي ، فظللت انتظره ، انتظر الزائر العزيز !

وهز (سطيفان) راسه بصمت ، واكمل ما في قدحه وقلبه ولكن مارتن اقامه وملأه له .

وقال : هاك قدحا آخر ، بارك الله فيك ! كنت افكر كيف يسير بين الناس ولا يحتقر احدا ، يسير في الغالب بين الناس

الاعتياديين ، يصاحب البسطاء ويختار حوارييه من بين العاملين امثالنا ، يحب المتواضعين ويكره المتكبرين ويبارك في الفقــراء والمستضعفين والرحماء •

نسي سطيفان شايه • وقد كان شيخا عاطفيا يسير الدمعــة سالت دموعه على خديه وهو جالس يستمع •

فقال مارتن : هيا اشرب مزيدا من الشاي •

ولكن (سطيفان) حمد الله وشكر الرجل ونحى القدح جانبا ونهض • وقال : شكرا لك يامارتن • لقد وهبتني طعاما وراحة في الروح والبدن •

فقال مارتن : انت على الرحب والسعة • تفضل الي مرة اخرى، فاني يسرني ان استقبل ضيفا •

وغارر سطيفان•وصب مارتن اخر مابقي من الشاي وشربه• ثم نحى ادوات الشاي جانبا وجلس الى عمله • وراح يدرز القسم الخلفي من حذاء • وكان يواصل النظر من النافذة الى الخارج ينتظر ولي الله ويفكر به وبأعماله •

ومر جنديان احدهما بحذاء حكومي والاخر بحذاء اهلي ، ثم تلاهما رب البيت بحذاء لامع ، ثم خباز يحمل سلة • مر اولئك جميعا ، ثم اقبلت امرأة بجواريب صوفيــة وحذاء فلاحي ، مرت بالنافذة ولكنها توقفت عند الجدار • نظر (مارتن) اليها خلال النافذة ورأى انها غريبة ، في ملابس بالية وعلى ذراعهــا طفل • توقفت عند الجدار وظهرها للريح وهي تحاول ان تلف الطفل مع انها لاتكاد تملك شيئا تلفه به • كانت المرأة تلبس ثيابا صيفية بالية

مهترئة • سمع (مارتن) الطفل يبكي خلال النافذة وتحاول المرأة تهدئته ولكن من دون جدوى • نهض (مارتن) وخرج من الباب وصعد السلم وناداها :

— عزيزتي ، اقول ، ياعزيزتي !

سمعت المرأة والتفتت •

— لماذا تقفين هناك مع الطفل في البرد ؟ هيا ادخلي • يمكنك ان تلفي الطفل بطريقة افضل في مكان دافيء • هيا من هنا !

دهشت المرأة لرؤية شيخ في مئزر ونظارات على انفه يناديها ولكنها تبعته • ونزلا الدرجات ودخلا الحجرة الصغيرة • وقادها الشيخ الى السرير وقال لها :

— اجلسي هنا ياعزيزتي قرب الموقد • تدفئي • وارضعي الطفل•

— ليس عندي حليب • فلم اكل شيئا منذ الصباح الباكر •

ووضعت المرأة الطفل الى ثديها على الرغم من ذلك • وهز (مارتن) رأسه وجلب وعاء وشيئا من الخبز ، ثم فتح باب الفرن وصب شيئامن حساء اللهانة في الوعاء ، واخرج قدر العصيدة ايضا ولكن لم تكن قد نضجت ، ثم فرش قطعة قماش على المنضدة وقدم الحساء والخبز فقط •

— تفضلي ، كلي ياعزيزتي وسوف اهتم بالطفل ، فقد انعم الله علي بالاطفال ، وانا اعرف كيف ادبر امرهم •

وسمت المرأة بالرحمن وجلست لتأكل • ووضع مارتن الطفل على السرير وجلس بجانبه • وصار يطقطق له بلسانه ويطقطق ولم يستطع ان يفعل ذلك جيدا لان فمه بلا اسنان وظل الطفل يبكي •

وحاول (مارتن) ان يداعبه باصبعه وقرب اصبعه من فم الطفل ولكنه سحبه بسرعة وفعل ذلك مرارا • ولم يدع الطفل يأخذ اصبعه في فمه لانه اسود من تشميع الجلود وهدأ الطفل وهو يراقب الاصبع ، ثم اخذ يضحك مما افرح مارتن كثيرا •

وكانت المرأة جالسة تأكل وتتكلم واخبرته من هي واين كانت•

وقالت : انا زوجة جندي•ارسلوا زوجي الى مكان بعيد لا اعلم أين ، قبل ثمانية اشهر ولم اسمع عنه شيئا منذ ذلك الحين • وكنت اشتغل طباخة حتى ولد طفلي ، ولكنهم استغنوا عني بسبب طفلي • وظللت اكافح منذ ثلاثة اشهر ولا استطيع ان اجد عملا ، وكان علي ان ابيع كل ما عندي من اجل الطعام ، وقد قيل لي انني نحيلة ، مهزولة من الجوع • وكنت الان ذاهبة لمقابلة زوجة احد التجار بمعرفة احدى نساء قريتنا التي تعمل في خدمتها،وقد وعدت ان تقبلني لديها • وظننت ان الامر قد انتهى ولكنها قالت لي لاتأتي حتى الاسبوع القادم • بيتها بعيد • وانا منهكة والطفل المسكين هالك من الجوع • واحمد الله ان صاحبة المنزل تشفقت علينا وتأوينا في منزلها مجانا ، والا ادري ماذا نفعل لولا ذلك •

تنهد مارتن قائلا : أليس لديك ملابس اكثر دفئا ؟

فقالت : كيف لي ان أحصل على ملابس دافئة وقد رهنت شالي بدرهم امس •

ثم قامت المرأة واخذت الطفل ، ونهض مارتن ثم ذهب ليبحث بين اشياء معلقة على الجدار وجلب عباءة قديمة •

وقال : اليك هذه ولو انها بالية قديمة ، ولكنها تنفع لكي

تدثره • نظرت المرأة الى العباءة ثم الى الشيخ واخذتها وانفجرت باكية • فابتعد (مارتن) وصار يتلمس تحت السرير وجلب صندوقا صغيرا • وتحسس في داخله ثم عاد وجلس امام المرأة • فقالت المرأة :

— بارك الله بك ايها الصديق • لاريب ان الله ارسلني الى نافذتك ، والا لتجمد الطفل • كان الجو دافئا عندما خرجت ولكنك ترى الان ما اشد برد ! لا ريب ان الله جعلك تنظر من النافذة وتشفق علي ، انا المرأة البائسة !

ابتسم (مارتن) وقال : هذا صحيح ، هو الذي جعلني افعل ذلك • لم تكن مصادفة مجردة تلك التي جعلتني انظر الى الخارج •

وقص حلمه على المرأة وكيف سمع صوتا الهيا يعده بزيارته في يومه ذاك •

فقالت المرأة : « من يعلم • كل شيء ممكن » • ونهضت والقت العباءة على كتفيها وتدثرت وطفلها بها ، ثم انحنت وشكرت مارتن مر ةاخرى •

وقال مارتن : « خذي هذه كرامة لله » • وأعطاها درهما لتسترد شالها المرهون • وحمدت المرأة ربها وحمده (مارتن) ايضا، ثم ودعها • وبعد ان غادرت المرأة ، تناول مارتن شيئا من حساء اللهانة ورفع الاشياء عن المائدة ونظفها ، ثم عاد جالسا للعمل • جلس يعمل ولكنه لم ينس النافذة • وكان يرفع نظره ، كلما وقع ظل عليها ، ليرى عابر السبيل • مر أناس يعرفهم واناس غرباء ، ولم يكن احد منهم لافتا للنظر •

ورأى (مارتن) بعد مدة بائعة تفاح تتوقف قرب النافذة • عندها سلة كبيرة ولكن لايبدو فيها عدد كبير من التفاح • ومن الجلي انها باعت اغلب مالديها • وكانت تحمل على ظهرها كيسا مليئا بكسر من الخشب ، تأخذه الى بيتها • لا ريب انها جمعت الخشب في مكان حيث يقام بناء من الابنيـــة • ومن الواضح ان الكيس كان يؤلمها فارادت ان تحوله من كتف الى كتف اخر ، فأنزلته على الرصيف ووضعت السلة جانبا وبدأت تهز قطع الخشب لتستقر في اسفل الكيس • وبينما كانت منشغلة في ذلك ركض صبي يعتمر قبعة بالية وخطف تفاحة من السلــة وحاول الهرب ولكن العجوز لاحظت ذلك واستدارت ثم امسكت بالصبي من ردنه • وصار يكافح محاولا ان يخلص نفسه ولكن المرأة العجوز امسكت به بكلتا يديها وضربته على رأسه فسقطت قبعته فأمسكت بشعره • وصاح الصبي ووبخته العجوز • والقى مارتن المخرز ولم ينتظـــر ليضعه في مكان ، واندفع راكضا الى الخارج • وقـــد تعثر على الدرج ووقعت نظاراته لاستعجاله • وخرج الى الشارع • وكانت المرأة تشد شعر الغلام وتزجره ، وتهدد باقتياده الى الشرطة • وكان الصبي يكافح ويحتج قائلا : لم آخذها • لماذا تضربينني ؟ اتركيني !

وفرق مارتن بينهما • وامسك بالصبي من يده وقال : دعيه يذهب ايتها الجدة • لن يفعل ذلك ثانية • دعيه يذهب حبا لله !

وتركته العجوز يذهب واراد الصبي ان يهرب ولكن مارتن اوقفه • وقال : اطلب العفو من الجدة ! ولا تفعل ذلك من اخرى انا رأيتك تأخذ التفاحة •

أخذ الولد يبكي ويطلب العفو .

فقال مارتن : احسنت ! هذا صحيح . والان اليك هذه التفاحة.

تناول مارتن تفاحة من السلة وقدمها للصبي قائلا للعجوز : سوف ادفع لك اينتها الجدة .

فقالت العجوز : انك تفسدهم بهذه الطريقة ، تفسد الاوغاد الصغار . يجب ان يجلد لكي يتذكر ذلك طوال اسبوع .

فقال مارتن : هذه طريقتنا اينتها الجدة ولكنها ليست طريقة الله . لو ان الطفل جلد لسرقة تفاحة ، فماذا يفعل لنا نحن على آثامنا ؟

صمتت العجوز . وسرد عليها مارتن حكاية السيد الذي أعفى خادمه من دين كبير وكيف خرج الخادم وضيق الخناق على حنجرة دائنه . أصغت المرأة الى ذلك كله ووقف الصبي جانبا وهو يستمع ايضا .

وقال مارتن : يأمرنا الله ان نغفر لغيرنا والا لا يغفر لنا ، ان نغفر للجميع وخصوصا الطفل الجاهل . هزت المرأة راسها وتنهدت قائلة : هذا صحيح ولكن ذلك يفسدهم كثيرا .

فأجاب مارتن : فعلينا نحن الكبار اذن ان نبدي لهم وسائل افضل .

فقالت العجوز : هذا هو تماما ما اريد قوله . فقد كان عندي سبعة اطفال ولم يبق منهم سوى طفلة واحدة .

ثم اخذت العجوز تبين كيف واين كانت تعيش مع طفلتها ، وعن عدد الاحفاد الذين عندها . وقالت : لم يبق لدي الا قوة

قليلة • ومع ذلك فانا اعمل من اجل احفادي ، انهم اطفال رائعون ولا يأتي احد لرؤيتي سوى الاطفال • فان الصغيرة لا تفارقني ابدا •

وهي تقول : : « انها جدتي ، جدتي العزيزة ، جدتي الحبيبة» •
ولانت العجوز تماما لدى هذه الفكرة •

وقالت وهي تشير الى الصبي : طبعا مرد عمله هذا راجع الى صبيانيته • ليكن الله في عونه •

وكانت المرأة توشك ان تلقي الكيس على ظهرها ، فوثب الصبي اليها قائلا : دعيني احمله عنك يا جدتي • انا ذاهب في هذا الطريق •

أومأت المرأة برأسها ووضعت الكيس على ظهر الغلام وسار الاثنان معا في الشارع ، وقد نسيت العجوز ان تطلب من مارتن ان يدفع ثمن التفاحة • وقد وقف (مارتن) يراقبهما وهما يسيران ويتحدثان •

وعاد (مارتن) الى البيت عندما اختفيا عن الانظار • ووجد نظاراته على السلم غير مكسورة • وتناول المخرز وجلس الى العمل • واشتغل قليلا ولكنه لم يستطع ان يمرر الخيط خلال ثقوب الجلد • وسرعان ما لاحظ مشعل المصابيح يمر في طريقه لاشعال مصابيح الشارع • وقال مارتن : « يبدو ان وقت اشعال المصابيح قد حان » نظف المصباح وشذب الفتيلة واشعلها ، وعلقه وعاد الى العمل • واكمل فردة من حذاء وصار يقلبها ويفحصها

كانت على ما يرام • ثم جمع ادواته وكنس القصاصات ، ووضع الخيوط والمخارز وانزل المصباح ووضعه على المنضدة ثم تناول الكتاب من الرف • وأراد (مارتن) ان يفتحه في المكان الذي اشره امس بقصاصة من الجلد المراكشي ، ولكنه انفتح في مكان آخر • وعاد اليه حلم البارحة • ولم يكد يفكر فيه حتى بدا له انه يسمع وقع اقدام كأن احدا يمشي خلفه • التخت (مارتن) وبدا له كأن اناسا كانوا واقفين في الزاوية المظلمة ولكنه لم يستطع ان يميزهم وهمس صوت في اذنه :

مارتن ، يا مارتن ، الا تعرفني ؟

فتمتم مارتن : من انت ؟

فقال الصوت : « هذا انا » • ثم تقدم سطيفان من الزاوية المظلمة وهو يبتسم ثم تلاشى مثل غمامة ولم يعد يرى •

ثم قال الصوت مرة اخرى : « هذه انا » وخرجت من الظلام المرأة وطفلها على ذراعيها وابتسمت وضحك الطفل واختفيا ايضا •

وقال الصوت مرة اخرى : « هذا انا » وخرجت العجوز وكذلك الصبي ذو التفاحة وكلاهما يبتسم ثم اختفيا •

وانتشت نفس (مارتن) بالسعادة وحمد الله ولبس نظاراته واخذ يقرأ حيث كان الكتاب مفتوحا • فقرأ في اعلى الصفحة : ولسوف يعطيك ربك فترضى • الم يجدك يتيما فآوى • ووجدك ضالا فهدى • ووجدك عائلا فاغنى • فاما اليتيم فلا تقهر • واما السائل فلا تنهر • واما بنعمة ربك فحدث •

وفهم مارتن عندئذ ان حلمه قد تحقق وانه عمل بما امر به ربه(*) .

ملاحظة :

(آثرت ان استعين بالايات الكريمة بدلا مما ورد في القصة وهو كما يأتي : كنت جائعا فأطعمتني ، وكنت ظمآنا فسقيتني وكنت غريبا فآويتني) .. المترجم .

حكاية ايفان الابله
واخويه سيمون الجندي وتاراس التاجر
واخته الصماء البكماء مارثا

(١)

عاش في قديم الزمان ، في مقاطعة من المقاطعات ، في بلد من البلدان ، فلاح ثري ، عنده ثلاثة اولاد : سيمون الجندي ، وتاراس التاجر السمين ، وايفان الابله ، فضلا عن ابنة صماء بكماء ، غير متزوجة اسمها مارثا . ذهب سيمون الجندي الى الحرب لخدمة الملك ، وذهب تاراس الى المدينة للتجارة ، ومكث ايفان الابله في البيت مع اخته ليحرث الارض حتى انحنى ظهره .

ونال سيمون الجندي رتبة رفيعة ، وضيعة وتزوج ابنة احد النبلاء . وكان راتبه كبيرا وضيعته واسعة ولكنه لم يستطع الاقتصاد في الانفاق لئلا يتخطى حدود دخله . فما كان يكسبه الزوج تبدده زوجته . فلم يوفرا مالا كافيا .

ذهب (سيمون) الى ضيعته ليجبي الدخل ولكن وكيله قال : من اين يأتي الدخل ؟ فلا ماشية لدينا ولا آلات ولا خيل ولا

محراث ولا مساحي • علينا ان نحصل على هذه الاشياء كلها ثــم يأتينا المال بعد ذلك •

ثم ذهب سيمون الجندي الى ابيه وقال : انك غني يا ابــي ولكنك لم تعطني شيئا • اقسم ما لديك واعطني ثلثا لكي احسن وضع ضيعتي •

ولكن الشيخ قال : انت لم تجلب شيئا الى بيتي ، فلمــاذا اعطيك ثلث اموالي ؟ وليس في ذلك عدل لايثان وللبنت •

ولكن سيمون اجاب : هو ابله وهي عجوز عانس ، صماء بكماء ، فما فائدة الملك لهما ؟

فقال الشيخ : سنرى ماذا يقول ايثان بشأن ذلك •

قال ايثان : دعه يأخذ ما يريد •

اخذ سيمون الجندي حصته من اموال ابيه ونقلها الى ضيعته ثم ذهب مرة اخرى ليخدم الملك •

وجمع (تاراس) التاجر مالا كثيرا وتزوج ابنة تاجر ، ولكنه ما يزال يرغب في المزيد • فجاء هو ايضا الى ابيه وقال : اعطنــي حصتي •

ولكن الشيخ لم يرغب في اعطاء (تاراس) حصة ايضا فقال : انت لم تجلب شيئا الى هنا • ولكن ايثان هو الذي كسب كل ما عندنا في البيت ،فلماذا نسيء بحقه وحق البنت ؟

ولكن ثاراس قال : ماذا يحتاج ؟ انه ابله ! فهو لا يستطيع الزواج ، فلا تقبله اية واحدة ، والخرساء ايضا لا تحتاج شيئا •

إسمع يا ايفان ! اعطني نصف الحنطة . ولا اريد الالات ومن الحيوانات سأخذ الحصان الادهم فقط وهو لا ينفعك في جر المحراث .

ضحك ايفان وقال : خذ ماتريد . سوف اشتغل لاكسب المزيد. فاعطوا (تاراس) حصة ايضا ، وحمل الحنطة في عربة الى المدينة وأخذ الجواد الادهم ، وترك ايفان مع الفرس العجوز ليقوما بأعمال الفلاحة كما كان في السابق لينفق على أبيه وامه .

(٢)

اغتاظ الشيطان الاكبر ان الاخوة لم يتخاصموا على القسمة وافترقوا بسلام ، فاستدعى ثلاثة من الجن .

وقال : استمعوا الي : هناك ثلاثة اخـوة ، سيمون الجندي وتاراس التاجر وايفان الابله . كـان من الواجب ان يتخاصمـوا ولكنهم يعيشون بسلام ويلتقون بوئام . لقد افسد ايفان الابله عملي كله . فاذهبوا ثلاثتكم وعالجوا امر اولئك الأخوة وازعجوهم حتى يقلع احدهم عين أخيه !

اتظنون انكم قادرون على فعل ذلك ؟

فقالوا : أجل ، سنفعل ذلك .

فسألهم : وكيف تبدأون العمل ؟

فقالوا سنبدأ اولا بتدميرهم . سوف نعوقهم جميعا ونعطلهم عن العمل عندما لاتبقى لديهم كسرة خبز ، عندئذ سوف يخاصم احدهم الاخر بلا ادنى ريب !

فقال الشيطان :هذا ممتاز • ارى انكـم تفهمون مهمتكم • فاذهبوا ولا تعودوا حتى تبذروا الشقاق بينهم والا سلخت جلودكم أحياء !

انطلق الجن الى مستنقع وبدأوا يفكرون في كيفية الشروع بالعمل وتجادلوا وتناقشوا وكان كل واحد منهم يريد اسهل مهمة ولكنهم قرروا اخيرا ان يحكموا القرعه بينهم ليعرفوا ايا من الاخوة يتكفل به كل واحد من الجن • واذا ما انتهى كل جني من مهمته قبل الاخرين عليه ان يخف الى نجدتهما • فالقوا القرعة وعينوا موعدا للقاء اخر في المستنقع ليعرفوا من نجح ومن يحتاج الى مساعدة •

ازف الموعد والتقى الجن ثانية في المستنقع كما اتفقوا • واخذ كل واحد منهم يسرد كيف تسير الامور • فبدا الاول الذي تعهـد بأمر سيمون الجندي بقوله : تسير اعمالي على مايرام • وسوف يعود سيمون الى دار ابيه •

فسأله رفيقاه : وكيف دبرت ذلك ؟

فقال : اولا ، جعلت سيمون جريئا فتطوع ان يفتح العالـم كله لصالح مليكه ، فجعله الملك قائده العام وارسله لحرب ملك الهند • والتقى الاثنان في المعركة ولكني كنت قد جعلت في الليلة السابقة جميع البارود فيمعسكر سيمون رطبا وصنعت مزيدا من الجنود الوهميين لملك الهند لا يحصى عددهم • وارتعب جنـود سميون لما رأوا الجنود الوهميين يحيطون بهم فأمر سيمون جنده ان يطلقوا النار ولكن مدافعهم وبنادقهم لم تنطلق فسيطر الهلع عليهم وركضوا كالاغنام وذبحهم الملك الهندي • ولحق الخزي

والعار بسيمون وجرد من ضيعته وقرروا اعدامه في اليوم التالي • ولم يبق امامي الا عمل يوم واحد ، وما علي الا ان اطلق سراحه من السجن لكي يهرب الى وطنه • وسوف اكون غـدا متأهبا لمساعدة من يحتاجني منكما •

ثم بدأ الجني الثاني المكلف بتاراس يسرد عليهم ما اصاب من نجاح قائلا : ليست بي حاجة الى اية مساعدة • مهمتي تسير على خير مايرام • ولايستطيع سيمون ان يصمد اكثر من اسبوع واحد• فقد جعلته جشعا وسمينا اول كل شيء• وقد تعاظم طمعه فصـار يريد كل مايراه • فانفق كل امواله في شراء كثير من الاشياء ومايزال يواصل الشـراء • وبدأ يستدين واثقلت الديون كاهله وتورط ولا يستطيع الخلاص ابدا • وسوف يستحق الكمبيالات الاداء • وسافسد كل مالديه من مخزون قبل ذلك الوقت • ولن يكون قادرا على الدفع وسيكون مضطرا الى الذهاب الى بيت ابيه •

ثم سأل الاثنان جني ايفان : وكيف تسير امورك ؟

فأجاب : انها تسير سيرا رديئا • فقد بصقت اولا في شرابـه لكي تصاب معدته بالوجع ، ثم ذهبت الى حقله وجعلت الارض صلبة كالحجر لن يكون قادرا على حراثتها •وظننت انه لن يحرثها ولكن الاحمق اتى بمحراثه وبدأ يشق الارض • وكان يئن من الالم في معدته ولكنه استمر بالحراثة • فكسرت محراثه ولكنه ذهب الى البيت وجلب محراثا اخر واستأنف الحراثة ، وزحفت تحت الارض وامسكت بشفرات المحراث ولكنني لم استطع اعاقته وكانت الشفرة حادة جرحت يدي ، وانتهى من حراثة الحقل جميعه ولم يبق الا

مشقة صغيرة واحدة • هيا يا اخوي ساعداني • فاذا لم نتغلب عليه فان عملنا سيضيع • واذا صمد الابله واستمر في العمل على الارض فان اخويه لن يعرفا الحاجة ، لانه سوف يطعمهما كليهما •

وعاهد جني سيمون الجندي ان يأتي في اليوم التالي ليمد يد المساعدة ، وهكذا افترق الثلاثة •

(٣)

حرث ايفان الارض المراحة كلها عدا مشقه واحدة صغيرة • وجاء لاكمالها وقرر ان يتم الحراثة على الرغم من آلام معدته •

وخلص حبال العدة وقلب المحراث وبدأ العمل • وشق اخدودا ولكنه عندما رجع اخذ المحراث يتثاقل كأن جذرا امسك به • انه الجني الذي لف ساقيه حول شفرة المحراث وصار يعيقها •

وفكر ايفان : ياله من شيء غريب • لم تكن هنا اية جذور قط ، ولكن ها هو ذا احد الجذور •

دفع (ايفان) يده عميقا في الاخدود وتحسس فيه وشعر بشيء لين ، قبض عليه واستخرجه • كان اسود كالجذر ولكنه يتلوى ليتملص • انه جني حي !

وقال ايفان : ياله من شيء كريه !

ورفع يده ليطوح به ويحطمه على المحراث ولكن الجني صرخ صرخة طويلة حادة : لا تؤذني • سأفعل كل ما تأمرني •

ــ وماذا تستطيع ان تفعل ؟

ــ كل ما تأمرني به

حك ايفان رأسه وقال :

— بطني يؤلمني • اتستطيع شفاءه ؟

— نعم ، بكل تأكيد ، استطيع •

— حسنا اذن ، افعل ذلك •

نزل الجني من الاخدود وبحث فيه ونبش بمخالبه واخرج حزمة من ثلاثة جذور قدمها الى ايفان وقال :

— هاك • كل من يبتلع واحدا من هذه يشفى من أي مرض •

اخذ ايفان الجذور وفرقها وابتلع احدها • فشفي ألم معدته فورا • وعاد الجني يتوسل الى ايفان ان يطلق سراحه قائلا : سأغور في الارض ولن اعود ابدا •

فقال ايفان : حسنا • انصرف ، والله معك !

وما ان ذكر ايفان اسم الله حتى غاص الجني في الارض كحجر القي في ماء • ولم يبق من أثر سوى حفرة •

ووضع ايفان قطعتي الجذرين الاخرين في قبعته واستمر في حراثته • حرث شقة الارض حتى نهايتها ، وقلب المحراث وذهب الى البيت • وفك عدة الفرس ودخل الكوخ حيث رأى اخاه الاكبر سيمون الجندي ، وزوجته جالسين الى العشاء • ضيعته صودرت منه ، وهرب هو من لسجن بشق الانفس ، فعاد يعيش في بيت ابيه •

رأى سيمون ايفان وقال : اتيت لاعيش معك فاطعمني وزوجتي حتى احصل على وظيفة اخرى •

فقال ايفان : حسنا يمكنك ان تمكث معنا •

وما كاد ايفان يجلس على المصطبة حتى شمت السيدة رائحته وامتعضت وقالت لزوجها : لا أستطيع ان اتعشى مع فلاح قذر !

فقال سيمون الجندي : تقول زوجتي رائحتك ليست طيبة • الافضل أن تذهب وتأكل في الخارج •

فقال ايفان : حسنا ، على أية حال سامضي الليلة في الخارج لانني يجب أن أرعى الفرس •

فاخذ شيئا من الخبز ومعطفه أيضا وخرج بالفرس الى الحقول •

(٤)

بعد أن انتهى جني (سيمون) من عمله في تلك الليلة ، جاء حسب الاتفاق ليجد جني (ايفان) ويساعده في أخضاع الابله • جاء الى الحقل وظل يبحث ويبحث ولكنه وجد حفرة في الارض بدلاً من رفيقه •

وراح يفكر : من الواضح ان شراً أصاب رفيقي • فيجب أن أحل محله • الحقل محروث فيجب معالجة أمره في المرعى •

ذهب الجني الى المرعى وأغرق حقل ايفان بالماء الذي ترك العشب مغطى بالوحل •

عاد ايفان من المرعى فجراً وحد" منجل الحصاد وذهب ليحش الحقل • شرع يحش ولكنه لم يكد يحرك المنجل مرة أو مرتين حتى عمي الحد بحيث لن يقطع الا بعد أن يسن مرة اخرى• جاهد ايفان برهة ثم قال : انها لا تنفع • يجب أن أذهب الى

البيت لاجلب المسن لكي أحد المنجل وآخذ قطعة خبز في الوقت نفسه « لن اترك الحصاد حتى اتمه ولو أمضيت اسبوعا ههنا » .

سمع الجني ذلك وفكر في نفسه : هذا الابله عنيد . لا يسعني الالتفاف حوله بهذه الوسيلة . يجب أن أجرب حيلة اخرى .

عاد (ايقان) وقد سنّ المنجل وبدا يحصد . زحف الجني في العشب وصار يتشبث بالمنجل من مقبضه فينغرز رأسه في الارض. ووجد (ايقان) العمل عسيراً ولكنه حصد الحقل كله عدا قطعة صغيرة في المستنقع . وزحف الجني في المستنقع وفكر في نفسه : لن أدعه يحصد ولو تقطعت مخالبي .

وصل ايقان المستنقع ولم يكن العشب يبدو كثيفاً . ولكنه

قاوم المنجل واستعصى على الحش فغضب (ايقان) وراح يطوح بالمنجل بكل قوته . وكان على الجني أن يستسلم فلم يستطع مقاومة المنجل . وقبع في شجيرة بعد أن وجد العمل غير مُجدٍ . وطوح ايقان بالمنجل وأصاب الشجيرة وقطع نصف ذيل الجني ثم اكمل قص العشب وطلب الى اخته ان تجمع العشب بالمدمة (الخرباشة) . وتوجه هو نفسه الى حصاد الشيلم . ذهب بمنجله ولكن الجني الابتر سبقه الى هناك وجعل الشيلم متشابكا بحيث لم ينفع المنجل في حصاده . ولكن ايقان ذهب الى البيت وجلب منجلاً اكبر وراح يحصد به حتى اكمل الشيلم كله .

وقال : والآن حان وقت البدء بالهرطمان .

سمع الجني الابتر ذلك وفكر « لم استطع أن اهزمه في الشيلم ولكنني ساغلبه في الهرطمان . وما علي سوى الانتظار حتى الصباح » .

اسرع الجني في الصباح الى حقل الهرطمان ولكنه وجد أن الهرطمان قد حصد ! فقد حصده ايفان ليلا لئلا ينفض مزيدا من الحب . فغضب الجني وقال : لقد قطع ذيلي وأرهقني ــ هــذا الابله . انه أسوأ من الحرب فهذا الابله اللعين لا ينام أبدا . ولا يستطيع أحد مجاراته . سوف ادخل في بيادر حصاده وأعفنها .

دخل الجني في الشيلم وزحف بين الحزم وبدأت تتعفن وبث الحرارة بينها وشعر هو نفسه بالدفء فنام .

شد (ايفان) عدة الفرس وذهب مع اخته لنقل الشيلم بالعربة. وجاء الى الاكداس وأخذ يقذف بالشيلم الى العربة . القى حزمتين ثم طعن الجني بظهره بالمذراة . ورفعها فرأى على أسنانها جنياً حياً ، ابتر يكافح ويتلوى ويحاول أن يتملص .

ــ أهذا أنت ايها الكريه ههنا مرة اخرى ؟

فقال الجني : أنا جني آخر . كان الاول اخي . كنت مع اخيك سيمون . فقال ايفان : كائناً من تكون ، ستلقى المصير . أوشك ايفان ان يخبط الجني بالعربة ولكن الجني صاح : اطلقني ، ولن اتركك حسب بل سأفعل كل ما تأمرني بعمله .

ــ وماذا تستطيع ان تعمل ؟

ــ استطيع أن أصنع جنودا من أي شيء تشاء .

ـــ ولكن ما فائدة الجنود ؟

ـــ يمكن أن توجههم لاي نفع • فهم يستطيعون أن يعملوا ما تشاء •

ـــ **أيستطيعون الغناء ؟**

ـــ نعم ، اذا أردت منهم ذلك •

ـــ حسناً اذن اصنع لي بعضا منهم •

فقال الجني : هاك ، خذ رزمة من الشيلم واقمها منتصبة على الارض وقل :

ايتها الحزمة ، هذا عبدي
اصدر أمراً :
كل قشة أو عود
يتحول الى جندي !

وتناول ايفان حزمة قش وضرب بها الارض ونطق ما اخبره الجني أن يقول • وتفرقت الحزمة وتحول كل القش الى جنود يتقدمهم نافخ بوق وضارب طبل ، فتشكل فوج كامل • وضحك ايفان •

وقال : ما اذكاه ! هذا لطيف ! ما أشد سرور الفتيات بذلك !

فقال الجني : والآن ، دعني اذهب •

فقال ايفان : كلا • يجب أن أصنع جنودي من القش المدروس والا ضاعت الحبوب • علمني كيف اعيد الجنود الى حزمة لاني أريد ان ادرسها •

فقال الجني : كرر بعدي :

« ليعد كل جندي
قشة كما كان
بامر صادر
من المخلص عبدي »

قال ايفان ذلك فعادت الحزمة كما كانت. وعاد الجني يتوسل:

دعني اذهب !

فقال ايفان « حسن ! » وضغطه على جانب العربة وأمسك به من يده وسحبه من المذراة .

وقال : الله معك !

وما ان ذكر ايفان الله حتى غاص الجني في الارض مثل حجر يلقى في ماء ولم يبق من اثر سوى حفرة .

عاد (ايفان) الى البيت فوجد تاراس اخاه الآخر وزوجته جالسين لتناول العشاء .

لم يستطع تاراس التاجر الايفاء بديونه فهرب من دائنيه وجاء الى بيت أبيه . وقال تاراس لما رأى ايفان : اسمع : اريدك ان تعولني وزوجتي حتى اعود الى عملي مرة اخرى .

فقال ايفان : حسنا ، يمكنك أن تعيش هنا اذا أحببت ذلك .

خلع ايفان معطفه وجلس الى المائدة ، ولكن زوجة التاجر قالت : لا استطيع الجلوس الى المائدة مع هذا الجلف الذي تفوح منه رائحة العرق .

فقال تاراس التاجر : ايفان رائحتك قوية . اذهب وتناول عشاءك في الخارج .

فقال ايفان « حسناً » وأخذ شيئا من الخبز وخرج الى الباحة وقال « على أية حال ، حان الوقت لكي اذهب بالفرس الى المرعى »

(٥)

جاء جني تاراس ، اذ كان طليقا في تلك الليلة لمساعدة زميليه كما اتفقوا ، لاخضاع (ايفان) الابله ، جاء الى حقل الحنطة وراح يبحث ويبحث عن زميليه ـ ولم يجد أحداً ، بل رأى حفرة فقط . ذهب الى المرعى ووجد ذيل جني في المستنقع ، وحفرة اخرى في حقل الشيلم المحصود ، وفكر : من الواضح ان رفيقيّ منيا بسوء طالع ، فيجب أن احل محلهما واعالج أمر الابله .

فذهب الجني باحثا عن (ايفان) الذي حصد الحبوب تواً وقطع الاشجار في الغابة . وبدأ الاخوان يشعران بالضيق بعد ان عاشا معاً ، واخيرا (ايفان) أن يقطع اشجارا لبناء بيتين جديدين لهما .

وركض الجني نحو الغابة وتسلق بين الاغصان وراح يعرقل ايفان من اسقاط الاشجار . قطع (ايفان) شجرة من الاسفل بحيث كان سقوطها امرا مؤكدا غير انها انحرفت وتعلقت بين أغصان شجرة اخرى . فقطع ايفان عمودا ليرفعها به جانبا واستطاع بعد مشقة ان يسقطها على الارض . وشرع باسقاط شجرة اخرى ـ وتكرر الشيء نفسه ولم يستطع الا بجهود مضنية أن يطرح

الشجرة على الارض • وشرع بقطع شجرة ثالثة وحدث الشيء نفسه مرة اخرى •

كان ايڤان يأمل أن يقطع خمسين شجرة صغيرة غير انه لم يقطع حتى عشراً وقد أصابه التعب • وانتشر البخار منه كالضباب في أنحاء الغابة ولكنه ظل يواصل العمل • وقطع شجرة اخرى ولكن ظهره بدأ يؤلمه بحيث لم يستطع الوقوف وضرب الشجرة بالفأس وثبتها فيها وجلس يرتاح •

وفرح الجني لما رأى ايڤان يتوقف عن العمل •

وفكر : واخيراً فقد تعب ! وسوف يكف عن العمل • والآن سارتاح •

وجلس الجني منفرج الساقين على غصن وضحك ضحكة خافتة ، ولكن ايڤان نهض من فوره وانتزع الفأس وطوّح بها وضرب الشجرة من الجهة المعاكسة بقوة شديدة انهارت لها وهوت بضجة شديدة • لم يتوقع الجني ذلك ولم تواته الفرصة ليخلص رجليه فأمسكت الشجرة بقدمه في اثناء انكسارها • وصار (ايڤان) يشذب الاغصان • ودهش لما رأى جنيا حيا معلقا في الشجرة !

وقال : أهذا أنت ايها الكريه ؟ أجئت مرة اخرى ؟

فقال الجني : أنا جني آخر • كنت مع اخيك تاراس •

فقال ايڤان : كائناً من تكون ستواجه مصيرك • ولوح بفأسه واوشك أن يضربه بالمقبض ولكن الجني توسل اليه مسترحما •

وقال : لا تضربني • سوف أعمل لك ما تأمرني به •

— وماذا تستطيع أن تعمل ؟
— استطيع ان اصنع النقود لك بقدر ما تريد .
— حسنا اصنع لي شيئا منها .

وبين له الجني كيف يصنع النقود .

وقال : خذ ورقاً من شجرة البلوط هذه وافركها وسوف يقع الذهب على الارض .

تناول (ايفان) بعض الاوراق وفركها وجرى الذهب متساقطا من بين يديه .

وقال : ستضع هذه اللعبة الزملاء للعب في أيام عطلتهم .

وقال الجني : والآن دعني اذهب .

فقال ايفان : « حسنا » وأخذ مخلا خلص به الجني واطلقه . واردف قوله : اذهب ، والله معك . وما أن ذكر الله ، حتى غاص الجني في الارض مثل حجر يرمى في ماء . ولم يبق من أثر سوى حفرة .

(٦)

وبنى الاخوان بيتين وصارا يعيشان منفصلين . واكمل ايفان أعمال الحصاد . وصنع شرابا . ودعا اخويه لقضاء العطلة معه ، ولكنهما لم يلبيا الدعوة .

وقالا : اننا لا نهتم بالولائم الفلاحية .

لذلك دعا ايفان الفلاحين وزوجاتهم الى وليمة وشرب حتى ثمل وخرج الى الشارع حيث حلقة الراقصين وتقدم اليهم وطلب

الى النساء أن ينشدن اغنية في شرفه وقال لهن : ساعطيكن شيئا لم ترينه قط في حياتكن قبل هذا !

ضحكت النساء وغنين في مرح وقلن عندما اكملن : والان دعنا نر منحتك •

فقال : ساجلبها فورا •

واخذ سلة وركض الى الغابة وضحكت النساء • وقلن : انه ابله ! ثم اخذن يتحدثن في شيء اخر •

ولكن (ايفان) عاد راكضا وهو يحمل السلة مليئة بشيء ثقيل •

ــ هل اقدمها لكن ؟

ــ اجل ، قدمها لنا •

واخذ (ايفان) حفنة من الذهب ورماها الى النساء والقين انفسهم عليه ليلتقطنه • وتدافع الرجال حولهن بالمناكب وتخاطفوا قطع الذهب من ايدي بعضهم بعضا • وكادت احدى العجائز تسحق حتى الموت • وضحك ايفان •

وقال : ايها البلهاء ! لماذا سحقتم الجدة العجوز ؟ اهدأوا وساعطيكم المزيد •

والقى اليهم المزيد واحتشدوا حوله فالقى كل ما لديه من ذهب • وطلبوا المزيد ولكن ايفان قال : ليس لدي المزيد الان • ساعطيكم المزيد في مرة اخرى • لنرقص الان ويمكنكم ان تغنوا لي الان اغانيكم •

وبدأت النساء تغني •

فقال : اغانيكن ليست جيدة •
فقلن : واين تجد اغاني افضل منها ؟
قال : سوف اريكن الان ما هو افضل •

وذهب الى الانبار وتناول رزمة قش ودرسها واقامها ثم رطمها بالارض •

وقال :

ايتها الحزمة ! هذا عبدي
اصدر امرا
كل قش او عود
يتحول الى جندي !

وتفرقت الحزمة وتحولت الى جنود كثيرين • وعزفت الابواق وضربت الطبول • وامر (ايفان) الجنود ان يعزفوا وينشدوا • وقادهم الى الشارع حيث دهش الناس • وعزف الجنود وانشدوا ثم امرهم ان يتبعوه واعادهم الى مكان البيدر وحولهم الى حزمة قش ، اعادها الى مكانها •

ثم ذهب الى بيته واستلقى في الاصطبل لينام •

(٧)

سمع سيمون الجندي كل هذه الاشياء في صباح اليوم التالي وذهب الى اخيه وقال :

— قل لي كيف حصلت على هؤلاء الجنود والى اين اخذتهم ؟

فقال ايفان : وماذا يهمك ذلك ؟

فاجاب اخوه : ماذا يهمني • يستطيع المرء بهؤلاء الجنود ان يفعل اي شيء • يمكنه ان يكسب سلكة •

تعجب ايفان متسائلا : حقا ! ولماذا لم تقل ذلك قبلا ؟

سأصنع ما تشاء منهم • لدي كثير من القش •

واخذ ايفان اخاه الى الانبار وقال : انظر هنا ، اذا صنعت لك بعض الجنود فعليك ان تأخذهم بعيدا على الفور لاننا اذا وجب علينا ان نطعمهم فانهم سيأكلون طعام القرية بكامله في يوم واحد •

وعاهد سيمون الجندي ان يقود الجنود بعيدا • وبدأ ايفان بصنع الجنود • فقد القى رزمة من القش على الارض فظهرت امامه فرقة منهم ، وكانوا كثيرين غطوا الحقل كله •

وسأل اخاه : ايكفي هذا ؟

فرح (سيمون) فرحا شديدا وقال : هذا يكفي • شكرا لك يا ايفان •

فقال ايفان : حسنا • اذا اردت المزيد ، عد الي وسوف اصنعهم لك • فلدي كثير من القش هذا الموسم •

وجعل سيمون الجندي نفسه من فوره امرا على جيشه وجمعهم ونظمهم وخرج بهم لشن الحرب •

وما كاد سيمون الجندي يخرج ، حتى جاء تاراس التاجر وسمع ما حدث امس وقال لاخيه : ارني من اين تحصل على النقود الذهب ؟ لو انني حصلت على شيء قليل منه في البدء ، فانني استطيع ان اجعله يجلب لي مالا من جميع انحاء العالم •

ودهش ايفان ، وقال ! كان من الواجب ان تخبرني قبل هذا . ساصنع لك بقدر ما تشاء .

وفرح اخوه وقال : اعطني ثلاث سلال مليئة في البدء .

فقال ايفان : حسنا ، تعال الى الغابة ولكن الافضل ان تأتي بالفرس لانك لا تستطيع نقله من دون ذلك .

وذهبا الى الغابة وبدأ ايفان يفرك اوراق البلوط . وصنع كومة كبيرة من الذهب ؟

وغمر الفرح قلب تاراس . وقال : هذا يكفي في الوقت الحاضر . شكرا لك يا ايفان .

فقال ايفان : حسنا . ارجع اليّ اذا اردت المزيد فقد تبقى لدي كثير من الاوراق .

وجمع تاراس التاجر ملء عربة من النقود وسعى للتجارة .

وهكذا افترق الاخوان ، فقد ذهب (سيمون) للحرب و (تاراس) للبيع والشراء وفتح سيمون الجندي مملكة واحتلها لنفسه وكسب تاراس التاجر مالا وفيرا من التجارة .

واخبر كل أخ اخاه عندما التقيا : كيف حصل سيمون على الجنود وكيف حصل تاراس على المال . وقال سيمون الجندي لاخيه : فتحت مملكة وصرت اعيش في ابهة ، ولكني لا املك مالا كافيا للابقاء على جنودي .

فقال تاراس التاجر : لقد كسبت مالا كثيرا ولكن المشكلة اني لا املك احدا يحرسه .

فقال سيمون الجندي : لنذهب الى اخينا ، وسأطلب منه ان يصنع مزيدا من الجنود ويقدمهم لك لحراسة اموالك ويمكنك ان تطلب اليه ان يصنع لي مالا لاطعام رجالي •

وذهبا الى ايفان وقال سيمون : يا اخي العزيز اني لا املك جندا كافيا فاصنع لي فرقتين اخريين او اكثر •

وهز ايفان راسه وقال : كلا ! لن اصنع مزيدا من الجند

فقال اخوه : ولكنك عاهدتني على ذلك •

فاجاب ايفان : اعرف اني عاهدتك ولكني لن اصنع المزيد •

فسأله : ولماذا ايها الابله ؟

فاجاب : لان جنودك قتلوا رجلا • فقد كنت احرث ذات يوم قرب الطريق ورأيت امرأة تأخذ تابوتا في عربة وهي تصرخ باكية • سألتها عن الميت فقالت : « قتل جنود سيمون زوجي في الحرب » • كنت اظن ان الجنود لا يفعلون شيئا سوى عزف الموسيقى ، ولكنهم قتلوا رجلا ، فلن اعطيك المزيد •

وأصر على ان لا يعمل المزيد من الجنود •

واخذ تاراس التاجر يتوسل ايضا ان يصنع له مزيدا من النقود الذهب ، ولكن ايفان هز رأسه وقال :

ــ كلا لن اعمل المزيد •

ــ الم تعاهدني ؟

فاجاب : نعم ، فعلت ذلك ولكني لن اصنع المزيد •

فسأله اخوه ــ ولماذا ايها الاحمق ؟

ــ لان نقودك الذهب سلبت ابنة ميخائيل بقرتها •

ـ كيف ؟

ـ سلبتها ، ببساطة • فقد كان لدى ابنة ميخائيل بقرة واعتاد اطفالها شرب الحليب ولكنهم جاءوني ذات يوم يطلبون حليبا فقلت لهم : اين بقرتكم ؟ فاجابوني : « جاء وكيل تاراس التاجر واعطى أمنا ثلاث قطع من الذهب فاعطته البقرة لهذا ليس لدينا ما نشرب » ظننت انك ستلعب فقط بالنقود الذهبية • ولكنك سلبت بقرة الاطفال ، فلن اعطيك المزيد •

وتمسك ايفان برأيه ولم يوافق على اعطائه المزيد • ولهذا غادره الاخوان وتناقشا وهما يغادران كيف يستطيعان تذليل مصاعبهما • وقال سيمون :

ـ اسمع ، سأخبرك ماذا تفعل • انت اعطني مالا اقيم به جنودي وانا اعطيك نصف مملكتي مع جنود يكفون لحراسة اموالك • فوافق تاراس • وقسم الاخوان ما يمتلكان ، واصبح الاثنان ملكين وكان كلاهما غنيا •

(٨)

عاش (ايفان) في البيت يعيل اباه وامه ويعمل في الحقول مع اخته الخرساء • وصادف ان مرض كلب حراسة ايفان واصابه الجرب واوشك ان يموت • فاشفق ايفان عليه وتناول قطعة خبز من اخته ووضعها في قبعته وحملها معه والقاها الى الكلب ولكن القبعة كانت ممزقة فسقطت احدى قطع الجذور الصغيرة على الارض • فاكلها

الكلب مع قطعة الخبز ووثب واخذ يلعب وينبح ويهز ذيله - باختصار ، تعافى الكلب من فوره •

ورأى الاب والام ذلك ودهشا وسألاه : كيف اشفيت الكلب؟ اجاب ايفان : كان عندي قطعتان صغيرتان من الجذور لشفاء اي الم • وقد ابتلع احداهما •

وقد صادف في ذلك الوقت أن مرضت ابنة الملك واعلن الملك في كل مدينة وقرية انه سيكافىء كل من يستطيع شفاءها ، واذا استطاع رجل عازب شفاء ابنة الملك فانه يستطيع اتخاذها زوجة له • اعلن ذلك في قرية (ايفان) ايضا كما اعلن في اي مكان اخر •

دعا الاب والام ايفان وقالا له : اسمعت ماذا اعلن الملك ؟ قلت انك تملك جذرا يشفي اي مرض • فاذهب واشف ابنة الملك وستكون سعيدا طوال حياتك •

فقال : حسنا •

وتأهب ايفان للذهاب • والبساه افضل ما لديه • ولكنه صادف لدى الباب شحاذة شلاء اليد ، قالت له :

ـ سمعت انك تستطيع شفاء الناس • فاتوسل اليك ان تشفي يدي ، انني لا استطيع حتى لبس حذائي وحدي •

فقال ايفان « حسنا » واعطاها الجذر الصغير واخبرها ان تبتلعه وحين ابتلعته شفيت • واستطاعت من فورها ان تحرك ذراعها بحرية •

خرج الاب والام لمصاحبة ايفان الى الملك ، ولكنهما سمعا انه

اعطى الجذر وانه لم يبق لديه شيء يشفي به ابنة الملك فزجـراه زجرا غليظـا •

وقالا : انت تشفق على امرأة شحاذة ولا تأسف على ابنـة الملك !

ولكن ايفان شعر بالاسف فعلا على ابنة الملك ايضا • فاسرج حصانه وشد عدته ووضع قشا في العربة ليجلس عليه وجلس لسياقة العربـة •

ــ الى اين انت ذاهب ايها الابله ؟

ــ لاشفي ابنة الملك •

ــ ولكنك لا تملك شيئا تشفيها به •

فقال : « لا بأس » وساق الحصان الى قصر الملك • وما ان وصل باب القصر ومشى في الرواق حتى شفيت ابنة الملك •

فرح الملك وجلبوا ايفان اليه والبسوه فاخر الثياب •

وقال له : لتكن زوج ابنتي •

فقال ايفان : حسنا •

وتزوج ايفان الاميرة • ومات والدها بعد ذلك فأصبح ايفان ملكا • وهكذا اصبح الاخوة الثلاثة ملوكا •

(٩)

عاش الاخوة الثلاثة وحكموا • وقد حقق الاخ الاكبر سيمون الجندي ، نجاحا باهرا فقد جند بجنوده القش جندا حقيقيين ، اذ امر في طول مملكته وعرضها ان يجند فرد واحد من بين كل عشرة بيوت،

ويجب ان يكون كل جندي طويلا نظيف الجسم والوجه ، فجمع كثيرا من امثال هؤلاء الجنود ودربهم • وكانوا عندما يعارضه احد يرسل اولئك الجنود على الفور ويترك على سجيته لينال ما يريد ؛ فصار الجميع يخشونه ، وغدت حياته مريحة • وكان ينال كل ما تقع عليه عيناه ويرغب فيه • فيرسل الجنود ليجلبوا ما يشاء •

اما (تاراس) التاجر فقد عاش عيشة مرفهة • ولم يبذر المال الذي اخذه من ايڤان بل زاده كثيرا • وسن قانونا ونظاما لمملكته • ووضع نقوده في خزائن حديد ، وفرض الضرائب على الناس • وفرض ضريبة الرؤوس على الاشخاص البالغين ورسوما على المشي والسياقة وضريبة على الاحذية والجوارب وزركشة الثياب • وحصل على كل شيء رغب فيه • وجلب الناس له كل شيء من اجل المال ، وتقدموا للعمل لديه ـ لان كل واحدا منهم كان يريد المال •

ايڤان الابله ايضا لم يعش عيشة رديئة وما ان دفن الملك حتى خلع ملابسه الملكية واعطاها لزوجته لتضعها في صندوق • وارتدى قميصه الخشن وسراويله واحذيته الفلاحية وباشر العمل مرة اخرى•

وقال : انه امر ممل بالنسبة الي ّ فقد اصبحت بدينا وفقدت شهيتي ونومي •

وجلب امه واباه واخته الخرساء ليعيشوا معه واشتغل كسابق عهـــده •

وقال الناس : ولكنك ملك !

فقال : نعم ، ولكن حتى الملك يجب ان يأكل •

وجاءه احد وزرائه وقال : ليس لدينا اي مال لدفع الرواتب •

فقال : حسنا ، لا تدفوعها اذن •
ــ فلن يخدم عندئذ احد •
ــ حسنا ، دعوهم لا يخدمون • دعوهم يحملون اسمدة في العربات فثمة قمامة كثيرة تحتاج الى النقل •
وجاء اناس الى ايفان يشكون • فقال احدهم : هذا سرق نقودي •
فقال ايفان : حسنا ، هذا يدل على انه يريدها •
وعرف الجميع ان (ايفان) ابله ، وقالت له زوجته : يقول الناس انك ابله •
فقال : حسنا •
وفكرت زوجته وفكرت في الامر ، ولكنها كانت هي ايضا بلهاء •
فقالت : هل اقف ضد زوجي • فحيثما تسير الابرة يتبعها الخيط • وخلعت ملابسها الملكية ، ووضعتها في صندوق ، وذهبت الى الخرساء لتتعلم العمل • وتعلمت العمل وبدأت تعاون زوجها •
وترك كل العقلاء مملكة ايفان ولم يبق الا البلهاء •
ولم يملك احد مالا • فكانوا يعيشون ويعملون ويطعمون انفسهم ويطعمون غيرهم •

(١٠)

انتظر الشيطان الاكبر وانتظر اخبار تدمير الجن للاخوة الثلاثة • ولكن لم يصل اي خبر • فذهب هو نفسه يستعلم عن ذلك • وبحث وبحث ولكنه وجد الحفر الثلاث بدلا من الجن الثلاثة

وفكر : من الواضح انهم فشلوا • فيجب ان اعالج الامـر انا نفسي وهكذا ذهب يبحث عن الاخوة الثلاثة ولكنهم لم يكونوا في اماكنهم القديمة بل وجدهم في ثلاثة ممالك مختلفة • كان الثلاثة على قيد الحياة ويحكمون • فاغاظ ذلك الشيطان الاكبر كثيرا •

وقال : يجب ان اجرب يدي في هذه المهمة •

ذهب اولا الى الملك سيمون • ولم يذهب اليه بهيئته الخاصة بل تنكر في زي جنرال وتقدم الى قصر سيمون على حصانه •

وقال : سمعت ايها الملك سيمون انك محارب عظيم واني أعرف هذه الصنعة معرفة جيدة • واني ارغب ان اكون في خدمتك •

سأله الملك سيمون ووجده رجلا حكيما فادخله في خدمته • واخذ الآمر الجديد يعلم الملك سيمون كيف يشكل جيشا قويا •

وقال يجب اولا ان نجند مزيدا من الجنود ، لان في مملكتك كثيرا من العاطلين • يجب ان نجند جميع الشباب من دون استثناء • عندئذ سيكون لديك خمسة اضعاف الجنود الموجودين لديك حاليا • ويجب ثانيا ان نحصل على بنادق ومدافع جديدة • وسوف اقدم بنادق تطلق مئة كرة مرة واحدة • وسوف تنطلق كالبندق • وسوف احصل على مدافع تلتهم نيرانها البشر والخيل والجدران • وتحرق كل شيء !

اصغى سيمون الى الآمر الجديد وامر بتجنيد جميع الشباب من دون استثناء وببناء معامل جديدة تصنع فيها كميات كبيرة من البنادق والمدافع المجربة • ثم اسرع باعـلان الحرب على ملـك مجاور • وما ان التقى الجيشان حتى امر سيمون جنوده ان يمطروا

الجيش الآخر بالكرات ويطلقوا النار من المدافع فاحرق وعوق بضربة واحدة نصف جيش العدو . فارتعب الملك المجاور . رعبا شديدا مما دعاه الى تسليم مملكته فابتهج الملك سيمون .

وقال سوف اغزو ملك الهند هذه المرة .

ولكن ملك الهند سمع عن الملك سيمون وتبنى جميع مخترعاته واضاف اليها المزيد من عنده . ولم يجند الملك الهندي الشباب فقط بل العازبات ايضا وجمع جيشا اعظم من جيش سيمون . وقلد جميع بنادق الملك سيمون ومدافعه واخترع طريقة للطيران في الجو لالقاء قنابل متفجرة من الاعلى .

انطلق الملك لمحاربة ملك الهند وهو يتوقع ان يغلبه كما الملك الاخر ، ولكن المنجل الذي كان يقطع جيدا قد فقد نصله . فلم يدع ملك الهند جيش سيمون ان يقترب في مرمى المدافع ، ولكن ارسل اليه نساءه في الجو ليقصف جيش سيمون بالقنابل المتفجرة . بدأت النساء يمطرن القنابل على الجيش كالمبيد على الحشرات . فهرب الجيش وترك الملك سيمون وحيدا . واحتل الملك الهندي مملكة سيمون وهرب سيمون الجندي بأقصى ما يستطيع .

وذهب الشيطان الاكبر الى الملك تاراس بعد ان انتهى من اخيه ، وتنكر بهيئة تاجر ، واستقر في مملكة تاراس وفتح محلا تجاريا وصار ينفق المال . ودفع اجورا عالية فسارع الجميع الى التاجر الجديد للحصول على المال . وبهذا انتشر مال غزير بين الناس وبدأوا يدفعون ما عليهم من ضرائب من دون ابطاء وادوا كل ديونهم المستحقة التي لم تدفع . ففرح الملك تاراس فرحا غامرا .

وفكر : الفضل للتاجر الجديد • ستزداد أموالـي وستكون حياتي اكثر رفاها •

وشرع الملك (تاراس) يرسم خططا جديدة ، وبدأ يبني قصرا جديدا • واعلن ان الناس يجب ان يجلبوا له خشبا وحجرا ويأتوا للعمل وعين اجورا عالية لكل شيء • وظن الملك تاراس ان الناس سوف يتقاطرون في حشود للعمل لديه كما كانوا يفعلون سابقا ، غير انه دهش لرؤية جميع الخشب والاحجار كانت تؤخذ الى قصر التاجر وذهب جميع العمال اليه ايضا • وزاد الملك الأسعار والأجور ولكن التاجر دفع اكثر ، وكان لدى الملك تاراس اموال كثيرة ولكن أموال التاجر اكثر فكان يدفع اثمانا اعلى لكل شـيء • وتوقف العمل في قصر الملك توقفا تاما •

وخطط الملك تاراس لانشاء بستان • وعندما حل الخريف دعا الناس للمجيء وزراعة البستان ، ولكن لم يأت أحد فقـد كان الجميع منشغلين بحفر بركة للتاجر • وجاء الشـتاء وأراد الملك تاراس شراء فراء سمور لعمل معطف جديد • وبعث لشراء قطعة منه ولكن الرسل عادوا وقالوا : لم يبق اي شيء من الفراء • فقد استحوذ التاجر عليه كله ، اذ اعطى افضل الاثمان وصنع طنافس (بسطا) منه •

واراد الملك تاراس شراء بعض الخيول • وارسل لشرائها ولكن الرسل عادوا قائلين • لقد حصل التاجر على جميع الخيول الجيدة لحمل الماء لكي يملأ بركته •

وتوقفت جميع امور الملك ، فلم يعمل أحد لديه ، فقد كان الجميع يعملون لدى التاجر ، ولم يجلبوا للملك تاراس سوى نقود التاجر لدفع ضرائبهم .

وجمع الملك مالا كثير بحيث لم يكن لديه مكان لخزنه وغدت حياته بائسة . وتوقف عن رسم الخطط والمشاريع . وصار يتمنى ان يعيش فقط ، ولكن حتى ذلك اضحى عسيرا عليه . فقد نفد كل شيء لديه . وتركه الطباخون والحوذيون والخدم واحدا بعد واحد وتوجهوا الى التاجر . وسرعان ما اعوزه حتى الطعام . فلم يجد شيئا سوى المال عن الضرائب . غضب الملك تاراس ونفى التاجر خارج البلاد . ولكن التاجر استقر قرب الحدود واستمر على سابق عهده . وكان الناس يأخذون كل شيء الى التاجر من اجل نقوده بدلا من اخذها الى الملك .

وساءت امور تاراس كثيرا ، وبات اياما لا يملك ما يأكله . وانتشرت اشاعة ان التاجر كان يتباهى انه سوف يشتري الملك نفسه ! وخاف الملك ولم يعرف ماذا يفعل .

وجاءه في ذلك الوقت سيمون الجندي قائلا : ساعدني لان ملك الهند احتل مملكتي .

ولكن الملك تاراس كان غارقا بالمشاكل وقال : انا نفسي لا املك شيئا اكله منذ يومين .

ذهب الشيطان الاكبر الى (ايڤان) بعد ان انتهى من اخويه ، متنكرا هذه المرة بهيئة جنرال وجاء الى ايڤان وصار يقنعه انه ينبغي ان يكون عنده جيش •

وقال : لا يليق بملك ان يكون بلا جيش • اعطني امرا وسأجمع لك جيشا من ابناء شعبك •

استمع اليه ايڤان وقال : حسنا ، اجمع جيشا وعلمهم انشــاد الاغاني جيدا • فاني احب ان اسمعهم يفعلون ذلك •

وهكذا سار الشيطان الاكبر خلال مملكة ايڤان لتجنيد الرجال • واخبرهم ان يذهبوا ليدخلوا الجيش جنودا وسوف يعطى كل واحد منهم قنينةشراب وقبعة حمراء لطيفة •

ضحك الناس وقالوا : لدينا كثير من الشراب فنحن نصنعه وحدنا • اما القبعات فان النساء تصنع جميع انواعها حتى المزينة بالرساعات (كراكيش) •

ولم يلتحق احد منهم •

وجاء الشيطان الاكبر الى (ايڤان) وقال : بلهاؤك لايقبلون الانضمام بارادتهم • سوف نجبرهم •

فقال ايڤان : حسنا ، يمكنك ان تجرب •

فاصدر الشيطان الاكبر اعلانا يحتم على الناس الانخراط في الجيش وكل من يرفض سوف يعدمه ايڤان •

جاء الناس الى الجنرال وقالوا : تقول اننا اذا لم نلتحق بالجيش

فان الملك سوف يعدمنا ولكنك لم تقل ما يحدث اذا التحقنا ؟ لقد سمعنا ان الجنود يقتلون !

ـ نعم ، يحدث ذلك احيانا .

امتنع الشعب وعاندوا عندما سمعوا ذلك .

وقالوا : لن نذهب ونفضل الموت في بيوتنا اذا كان لابد من الموت .

فقال الشيطان الاكبر : انكم بلهاء ! قد يقتل الجندي وقد لا يقتل ، ولكن ان لم تذهبوا الى الجيش فان الملك ايفان سيقتلكم حتما .

حار الناس وذهبوا الى ايفان الابله لاستشارته .

وقالوا : قد جاء جنرال يقول اننا يجب ان نكون جنودا ويقول: اذا اصبحتم جنود فلعلكم تقتلون او لا تقتلون ، ولكن ان لم تلتحقوا بالجيش فان الملك ايفان سوف يقتلكم بكل تأكيد . فهل هذا صحيح ؟

ضحك ايفان وقال : كيف استطيع وحدي ان اقتلكم جميعا ؟ لو لم اكن ابله لشرحت ذلك لكم .

فقالوا : حسنا اذن فلن نخدم .

وقال : حسنا ، لا تخدموا .

ولذا ذهب الناس الى الجنرال ورفضوا الانخراط في الجيش . ورأى الشيطان الاكبر ان هذه اللعبة قد انتهت . فانطلق الى ملك الصراصر وتملقه ونال الخطوة لديه . وقال : دعنا نشن حربا ونغزو

بلاد الملك ايڤان • في حقيقة الامر ، لا يوجد مال ولكن توجد حبوب كثيرة وماشية وكل شيء غير ذلك •

فتأهب ملك الصراصر لشن الحرب • وجمع جيشا عظيما وجهزه بالبنادق والمدافع وتقدم نحو الحدود ودخل مملكة ايڤان •

وجاء الناس الى ايڤان وقالوا : جاء ملك الصراصر وقد شن الحرب علينا •

فقال ايڤان : حسنا ، دعوهم يأتون •

وبعد ان عبر ملك الصراصر الحدود، ارسل الكشافة ليستطلعوا جيش ايڤان • فنظروا ونظروا ولكنهم لم يجدوا أي جيش • وراحوا ينتظرون وينتظرون احدا يظهر امامهم ولكن لاعلامة تدل على وجود جيش او احد يحاربهم • فارسلهم ملك الصراصر المسيطرة على القرى •

وجاء الجنود الى قرية من القرى فخرج الناس رجالاً ونساء مندهشين وهم يحملقون في الجنود • وبدأ الجنود يأخذون حبوبهم وماشيتهم • ولم يقاومهم الناس في اخذها • ثم ذهب الجنود الى قرية اخرى وحدث الشيء نفسه • وواصل الجنود فعلهم ذلك يوما ويومين وحدث الشيء نفسه في كل مكان • وسمح الناس لهم باخذ كل شيء ولم يقاوموا بل دعوا الجنود ان يعيشوا معهم •

وقالوا : ايها المساكين ، اذا كانت حياتكم عسيرة في بلادكم فلماذا لا تأتون وتمكثون معنا ؟

وظل الجنود يتقدمون ويتقدمون ولم يروا أي جيش ، بل ناس يعيشون ويطعمون انفسهم وغيرهم ولا يقاومون بل يدعون

الجنود للمكوث والعيش معهم • ووجد الجنود ان مهمتهم مملة فجاءوا الى الملك وقالوا : لا نستطيع ان نحارب • خذنا الى مكان اخر • الحرب شيء معروف • فما هـذه ؟ انها كمن يقطع الماء بالسيف ! لن نحارب هنا بعد هذا •

غضب ملك الصراصر وامر جنوده ان يجتاحوا البلاد كلها ويدمروا القرى ويحرقوا الحبوب والبيوت ويذبحوا الماشية • وقال : ساعدمكم جميعا ان لم تطيعوا اوامري •

خاف الجنود وبدأوا يعملون كما امر الملك • وصاروا يحرقون البيوت والحبوب ويقتلون الحيوانات • ولكن البلهاء لم يبدوا اية مقاومة بل راحوا يبكون فقط • بكى الشيوخ وبكت العجائز وبكي الشباب •

وقالوا : لماذا تأذوننا ؟ لماذا تتلفون الاشياء الجيدة ؟ اذا كنتم محتاجين اليها فلماذا لاتأخذونها لانفسكم ؟

واخيرا ، لم يعد الجنود يحتملون اكثر من ذلك فرفضوا التقدم مملكة ايفان • وتشتت الجيش وهربوا •

(١٢)

اضطر الشيطان الاكبر ان يتخلى عن ذلك فلم يستطع ان يهزم ايفان بجنوده ، لذا تنكر هـذه المرة بهيئة رجل انيق واستقر في مملكة ايفان • وكان قصده ان يغلبه بالمال كما غلب تاراس التاجر •

وقال : اني ارغب في اداء عمل طيب لك وان اعلمك الحكمة والادراك القيم • سأبني بيتا بينكم واعمل بالتجارة •

فقال ايفان : حسنا ، تعال وعش بيننا اذا اعجبك .

وخرج الرجل في صباح اليوم التالي الى الساحة العامة بكيس كبير مليء بالذهب ، ومعه طبقة من الورق وقال : انكم جميعا تعيشون عيشة الخنازير . اود ان اعلمكم كيف تعيشون عيشة لائقة . فأبنوا لي بيتا على وفق هذه الخارطة . سوف تعملون وسوف ابين لكم كيف وسادفع لكم نقودا ذهبا . وعرض عليهم الذهب .

دهش البلهاء فلم تكن النقود متداولة بينهم اذ كانوا يتقايضون البضائع والعمل بالعمل . ونظروا الى النقود الذهب مندهشين .

وقالوا : ما الطف هذه الأشياء الصغيرة !

واخذوا يستبدلون بضائعهم وعملهم بقطع الرجل الذهب . وبدأ الشيطان الاكبر سخيا بانفاق ذهبه كما فعل في مملكة تاراس وصار الناس يستبدلون كل شيء بالذهب ويؤدون كل انواع العمل من أجله .

فرح الشيطان الاكبر وفكر في نفسه : ان الامور تسير على ما يرام هذه المرة . سوف ادمر الابله كما دمرت تاراس وسوف اشتريه جسما وروحا .

ولكن ما ان تزود البلهاء بقطع الذهب حتى اعطوها الى النساء ليصنعن منهن قلائد وضفرتها الفتيات في جدائلهن ، واخذ الاطفال اخيرا يلعبون بها في الشارع . وصار لدى الجميع كثير منها وتوقفوا عن اخذها . ولكن بيت الرجل لم يكد يبلغ نصف بنائه ، ولم تكن الحبوب والماشية لتلك السنة قد وفرت . فاعلن انه يرغب

في مجيء الناس والاشتغال لديه وانه يريد ماشية وحبوبا . وكان مستعدا ان يدفع مزيدا من النقود والذهب لكل شيء وكل خدمة .

ولكن لم يتقدم احد للعمل ولم يجلب له شيء . في بعض الاحيان كان صبي او بنت صغيرة يأتيان لاستبدال بيضة بقطعة ذهب ولكن لم يأت احد غيرهما . ولم يكن لديه شيء يأكله . واذا جاع فانه يذهبالى القرية محاولا شراء شيء للغداء . وحاول يوما ان يشتري دجاجة من احد البيوت مقابل قطعة من الذهب ولكن ربة البيت لم تقبلها .

وقالت : عندي كثير منها .

وحاول شراء سمكة من بيت عجوز وقدم لها قطعة ذهبا فقالت العجوز : لا اريدها ياسيدي الطيب فليس لدى اطفال يلعبون بها واني لدي ثلاث قطع منها تحفا نادرة .

وحاول في بيت فلاح ان يحصل على خبز ولكن الفلاح لم يقبل المال .

وقال له : ليست بي حاجة اليه . ولكنك اذا كنت تشحذ في حب الله فانتظر قليلا حتى اخبر ربة البيت لتقطع لك كسرة خبز .

عندئذ بصق الشيطان وهرب . فقد آذاه اكثر من طعن سكين سماعه ذكر الله ناهيك عن التسول في حب الله .

وهكذا لم يحصل على شيء من الخبز . فقد كان لدى كل انسان ذهب واينما ذهب الشيطان الاكبر لم يقدم له احد شيئا مقابل المال ، ولكن كل واحد كان يقول له : اما ان تجلب شيئا اخر او تأتي للعمل ، او تتلقى ما تريد صدقة في حب الله .

ولكن الشيطان الاكبر لم يكن لديه غير المال ، اما العمل فلم يكن يعجبه واما اخذ الصدقات حبا لله فلم يكن يستطيع فعله . وغضب الشيطان الأكبر غضبا شديد .

وقال : ماذا تريدون اكثر من المال ؟ بالذهب تستطيعون شراء كل شيء وتستأجرون اي صنف من اصناف العمال . ولكن البلهاء لم يأبهوا له .

وقالوا : كلا ، نحن لانريد المال . فلا اجور لدينا ولا ضرائب فماذا نفعل به ؟

واستلقى الشيطان الاكبر لينام ــ من دون عشاء .

ونقل الخبر الى ايفان الابله . جاء الناس اليه وسألوه . ماذا نفعل ؟ جاء رجل انيق يحب الطعام والشراب واللباس الحسن ولكنه لايحب العمل ولا يستجدي حبا لله وانما يقدم قطعا ذهبا للجميع . باديء ذي بدء اعطاه الناس كل مايريد حتى صار لديهم كثير من القطع الذهب ولكن الان لا يعطيه احد شيئا . فماذا نفعل له ؟ سيموت من الجوع بعد وقت قصير .

استمع ايفان .

وقال : حسنا . يجب ان نطعمه . وليعش بالتناوب في كل بيت كما يعيش راعي ماشية اهل القرية .

ولم يكن مفر من ذلك . فقد كان على الشيطان الاكبر ان يبدأ الدورة . وجاء دوره في الوقت المناسب ان يذهب الى بيت ايفان . وجاء الشيطان الاكبر الى الغداء وكانت الخرساء تهييء الطعام . وكثيرا ما خدعها الكسالى الذين يأتون مبكرين للغداء من دون

ان يقوموا بعملهم المطلوب ويأكلون العصيدة كلها ، فخطر لها ان تعرف المتلكئين عن العمل من ايديهم ، فمن كانت يداه متقرنتين تجلسه الى المائدة اما الاخرون فلم ينالوا الا فتات الفضلات •

جلس الشيطان الاكبر الى المائدة ولكن الخرساء أمسكت به من يديه ونظرت اليهما فلم تر أماكن صلبة فيهما ، بل كانتا نظيفتين ناعمتين طويلتي الاظفار • وزمجرت الخرساء وسحبت الشيطان عن المائدة • وقالت له زوجة ايفان ، لا تنزعج ايها السيد فان اخت زوجي لا تسمح لاحد أن يجلس الى المائدة ما لم تكن يداه متقرنتين • ولكن انتظر قليلا حتى ياكل أهل البيت وتتناول ماتركوه •

انزعج الشيطان الاكبر ان يجعلوه في بيت الملك يأكل كالخنزير • فقال لايفان : من الحماقة ان يسري في مملكتك قانون يجبر الناس على العمل بأيديهم • غباؤكم هو الذي ابتكر هذا القانون • هل الناس يعملون بأيديهم فقط ؟ بماذا تظن عقلاء الناس يعملون ؟

فقال ايفان : وكيف نعرف نحن البلهاء • فاننا نؤدي اغلب أعمالنا بايدينا وعلى ظهورنا •

قال الشيطان : ذلك لانكم بلهاء ! ولكني سأعلمكم كيف تعملون برؤوسكم • وستعلمون ان العمل بالرأس انفع منه باليدين •

دهش ايفان وقال : ان كان الامر كذلك فلابد من وجود حكمة في دعوتنا بلهاء !

وواصل الشيطان الاكبر كلامه : ليس من السهل العمل بالرأس • فانتم لم تعطوني طعاما اكله لانكم لم تجدوا اماكن صلبة في يدي • ولكنكم لا تعلمون أن العمل بالرأس اصعب مئة مرة ، اذ ينفطر رأس الانسان أحيانا •

وراح ايقان يفكر •

وقال : لماذا اذن ايها الصديق تعذب نفسك هكذا ؟ أيسرك انفجار الرأس ؟ أليس من الافضل اداء عمل أيسر بيديك وعلى ظهرك ؟

ولكن الشيطان قال : اقوم بذلك كله شفقة عليكم انتم البلهاء فاذا لا اعذب نفسي فانكم تظلون بلهاء الى الابد • وبما انني عملت برأسي فانني استطيع ان اعلمكم •

دهش ايقان •

وقال : ارجو أن تعلمنا ! فاذا تشنجت ايدينا يمكن ان نستعمل رؤوسنا بدلاً من ذلك •

وتعهد الشيطان أن يعلم الناس • فاعلن ايقان في جميع انحاء المملكة ان رجلا لطيفا قدم البلاد سيعلم الجميع كيف يعملون وان على الناس جميعا المجيء والتعلم •

وكان في مملكة ايقان برج شامخ يصعد اليه بدرجات كثيرة تؤدي الى فنار في قمته • اخذ (ايقان) ذلك الرجل وصعد به لكي يراه الجميع •

واتخذ الرجل مكانه على قمة البرج وبدأ يتكلم واجتمع الناس لرؤيته • وظن الناس ان الرجل سوف يريهم حقا كيف يعملون

برؤوسهم من دون استعمال ايديهم • ولكن الشيطان علمهم بكلمات كثيرة كيف يمكن ان يعيشوا من دون عمل • ولم يفهم الناس شيئا • فنظروا اليه وفكروا وانفضوا اخيرا للعناية بشؤونهم •

وقف الشيطان الاكبر يوما كاملا على البرج ثم يوما اخر وهو يتحدث واقترب الناس ونظروا اليه برهة ثم انفضوا •

وسأل ايڤان : هل بدأ الرجل يعمل برأسه ؟

فقال الناس : لا ، لم يعمل بعد ، انه مايزال يتحدث بلهجة خطابية •

ووقف الشيطان يوما اخر على البرج ولكنه بدأ يضعف فترنح وضرب رأسه بأحد اعمدة الفنار • ولاحظ احد الناس ذلك واخبر زوجة ايڤان فركضت الى زوجها الذي كان في الحقل •

وقالت : تعال وانظر : يقولون ان الرجل بدأ يعمل برأسه !

دهش ايڤان • وقال « حقاً » وأدار حصانه وتوجه الى البرج • ولما وصل البرج كان الشيطان الاكبر منهكا من الجوع وترنح وضرب رأسه بأعمدة الفنار ، وتعثر وسقط مرتطما على الدرجات حتى بلغ القاع ، وهو يحسب الدرجات مع كل ضربة برأسه •

فقال ايڤان : حسنا : لقد أفصح الرجل عن الحقيقة عندما قال: « ينفطر رأس الانسان أحيانا » وهذا اسوأ من البثور • وسوف تظهر أورام في الرأس بعد هذا العمل •

وتكوّم الشيطان الاكبر في الخارج عند اسفل السلم وضرب رأسه بالارض • وكان (ايڤان) يوشك أن يتقدم اليه ليرى مقدار

ما عمل ، ولكن الارض انشقت وغار الشيطان فيها ولـم يبـق الا حفرة •

حك ايڤان رأسه •

وقال : ياله من شيء كريه ! انه واحد من تلك الشياطين مـرة اخرى : ياله من كاذب كبير ! لابد انه أبوهم جميعا •

مازال (ايڤان) على قيد الحياة والناس يتدفقون الى مملكته • وقد جاء أخواه ليعيشا معه ، وصار يطعمهما ايضا • وكان (ايڤان) يقول لكل من يأتيه ويطلب الطعام ! حسنا ايمكنك ان تبقى معنـا فلدينا كثير من كل شيء •

ولكن هناك عادة واحدة خاصة بمملكته • فكل مـن كانـت راحتا يديه متقرتين يستطيع أن يجلس الى المائدة • ومـن ليس كذلك ، عليه أن يأكل مايتركه الاخرون •

سنة ١٨٨٥ م

دار ثقافة الأطفال
سلسلة مكتبتنا
قسم النشر

دار الحرية للطباعة
بغداد